

التفسير والمفسرون

الجزء الأول من كتابي

تمهيد البداية في أصول التفسير

الدكتور: عصام الدين إبراهيم النقيلي

يا ناظرًا فيمَا عمدتُ لجمعـــــــهِ * عذرًا فإنَّ أخَا البصيرةِ يعـــــــذرُ

واعلمْ بأنَّ المرءَ لوْ بلغَ المـــدَى * في العُمرِ لاقَى الموتَ وهوَ مقصِّرُ

فإذا ظفرتَ بزلَّةٍ فافْتحْ لـــــــهَا * بابَ التَّجاوزِ فالتَّجاوزُ أجـــــدرُ

ومنَ المحالِ بأن نرَى أحدًا حوَى * كُنهَ الكَمالِ وذَا هوَ المتعـــــذِّرُ[1]

---

(1) عَلَمُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الأَنْدَلُسِيُّ ، كتاب "أسنى المقاصد وأعذب الموارد".

التفسير والمفسرون

الجزء الأول من كتابي

تمهيد البداية في أصول التفسير

الدكتور: عصام الدين إبراهيم النقيلي


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}

[النساء: 82]

الحمدُ للهِ العليمِ يسَّـــــــــرَا * فهمَ الكتابِ للَّذِي تبصَّــرَا

وأكملُ الصَّلاةِ والسَّـــــــلامِ * علَى النَّبيِّ صفوةِ الأنـــامِ

والآلِ والصَّحبِ وكلِّ مقتـــدِ * بهمْ وللدِّينِ الحنيفِ مهتدِ[1].

(1) الأرجوزة المنظَّمة لخلاصة المقدِّمة لأبي سهيل أنور عبد الله بن عبد الرَّحمن الفضفري.

مقدِّمةٌ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنَا ومنْ سيّئاتَ أعمالنَا، منْ يهدهِ اللهُ فلَا مضلَّ لهُ ومنْ يضللْ فلَا هاديَ لهُ، وأشهدُ أنَّ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وحدهُ لَا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولهُ ﷺ.

{يَا أَيُّهَا الذّينَ ءَامَنُوا اتّقوا الله حَقّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}[آل عمرن: 102].

{يَا أَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَذِي خَلَقكُمْ مَنْ نَّفسٍ وَّاحدةٍ وَّخلق مِنْهَا زَوْجَهَا وَبثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كثيرًا وَّنِسَاءً وَّاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَائَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النّساء: 1].

{يَا أَيَّهَا الذّينَ ءَامَنُوا اتّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَولاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوزًا عَظِيمًا}[الاحزاب: 71].

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ، وخيرُ الهديِ هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتهَا، وكلَّ محدثةٍ بدعةٍ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

وبعد فهذا هو الجزء الأول من كتابي تمهيد البداية في أصول التفسير، وأسميته التفسير والمفسرون، وهو عبارة عن مقدمة لكتابي تمهيد البداية، بيَّنت فيها مراتب التفسير، وأبرز من كتبوا في أصول التفسير، وأبرز من كتبوا في التفسير، مع بيان شيء من مناهجهم في التفسير، والمآخذ التي تؤخذ عليهم، وجعلت في الباب تمهيدا في مبادئ علم أصول التفسير والتفسير، وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

وكتب

الدكتور عصام الدين إبراهيم النقيلي

تمهيدٌ

اعلمْ أيُّها المباركُ وفَّقني اللهُ تعالَى وإيَّاكَ لمَا يحبُّ ويرضَى، أنَّ لكلِّ فنٍّ عشرةُ مبادئ ينبغِي لطالبِ ذلكَ العلمِ أنْ يدرسهَا، وهذَا كيْ يتصوَّرَ ذلكَ الفنَّ قبلَ الشُّروعِ فيهِ، وقدْ جمعهَا الصبَّانُ[1] رحمةُ اللُه تعالَى فِي أبياتٍ ثلاثٍ وقالَ:

إنَّ مبــادِي كلِّ فنٍّ عشــرهْ * الحــدُّ والموضوعُ ثمَّ الثَّمــرهْ

نسبةٌ وفضلهُ والواضــــعْ * والاسمُ الاستمدادُ حكمُ الشَّارعْ

مسائلٌ والبعضُ بالبعضِ اكتفَى * ومنْ درَى الجميعَ حازَ الشَّرفَــا

وقالَ الشيخُ أحمدُ بنِ يحيَى[2]:

مَــنْ رامَ فنًّــا فلْيُقَــدّمَ أوَّلَا * علمًا بحدِّهِ وموضوعٍ تــلَا

وواضــعٍ ونِسْبةٍ ومَا استمــدْ * منهُ وفضلِه وحكمٍ يُعتمــدْ

واسمٍ ومَا أفادَ والمســائلْ * فتلكَ عشرٌ للمُنَى وســائلْ

وبعضُهمْ منهَا علَى البعضِ اقتصرْ * ومَنْ يكنْ يدرِي جميعَهَا انتصرْ

وعليه؛ فإنَّ ضَبْطَ طالبِ العلمِ لهذهِ المبادئِ والأصولِ يُيَسِّرُ عليهِ فهمَ المسائلِ والفروعِ فِي فنِّهِ، ويعينهُ فِي إرجاعِ كلَّ فرعٍ إلَى أصلهِ، وذلكَ لارتكازهِ علَى ركنٍ شديدٍ فلَا بيتَ لمنْ لَا أساسَ لهُ.

---

(1) محمد بن علي الصبان، أبو العرفان، المصري، المتوفى في القاهرة سنة 1206 هـ، وهو صاحب الحاشية على شرح الأشموني في النحو، والحاشية على شرح السعد التفتازاني في المنطق، وله عدة كتب ومنظومات.

(2) الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس، المقّري، التّلمساني، المالكي، المؤرخ الأديب المتوفى سنة 1040 هـ، وهو صاحب الكتاب القيم المشهور "نفح الطِّيب في غصن الأندلس الرطيب".

وتتمحورُ هذهِ المبادئُ العشرةُ فِي التَّعريفِ بحدِّ علمٍ بعينهِ لغةً واطلاحًا، فحدُّ العلمِ لوْ ضُبطَ يقطعُ علَى الطَّالبِ نصفَ المسافةِ، غمن المعلوم أنَّ حدود العلوم تجمع كل شوارده، وكذلكَ موضوعهُ، هذا ليفهمَ الطَّالبُ لُبَّ هذَا العلمِ، ثمَّ ثمرتهُ، وهكذَا إلَى بقيَّةِ المبادئِ العشرةِ.

1) فالحدُّ: هوَ التَّعريفُ بعلمٍ بعينهِ وتمييزهُ عنْ غيرهِ.

2) والموضوعُ: هوَ فهمُ موضوعِ هذَا العلمِ، أيْ عنْ أيِّ شيءٍ يحكِي، هلْ فِي الحديثِ أمِ الفقهِ أمِ الأصولِ أمِ التَّفسيرِ؟

3) الثمرةُ: أيْ الاستفادةُ والنَّتيجةُ منْ تعلُّمِكَ لهذَا العلمِ، فلَابدَّ للطَّالبِ ألَّا يشغلَ نفسهُ بشيءٍ لَا ثمرةَ فيهِ، ثمَّ إنَّهُ بعلمِ الطَّالبِ بثمرةِ علمٍ معيَّنٍ يزدادُ حرصًا علَى تعلُّمهِ، وتعلُو همَّتهُ.

4) النِّسبةُ: أيْ معرفةُ نسبةِ هذَا العلمِ إلَى غيرِهِ، هلْ ينتسبُ للعلمِ الشَّرعِي، أوْ لعلمِ الطبِّ أوِ الهندسةِ أوْ غيرهِ، وكلُّ هذَا يعينُ طالبَ العلمِ علَى فهمِ مَا يريدُ أنْ يتعلَّمهُ.

5) الفضلُ: وهوَ فضلُ هذَا العلمِ وفضلُ تعلُّمهِ والخيرِ الذِي ينجرُّ عنْ ذلكَ، وفضلهُ بينَ سائرِ الفنونِ الأخرَى، وهذَا يُشجِّعُ طالبَ العلمِ علَى الاستزادِ منهُ.

6) الواضعُ: أيْ منْ وضعَ هذَا العلمَ وأسَّسهُ، وهذَا لازمٌ أيضًا، فكيفَ لعالمٍ أنْ يُدرِّسَ علمًا لَا يعرفُ واضعهُ، ولَا يردُّ الفضلَ لهُ فِي ذلكَ، فهذَا نوعٌ منَ الجحودِ.

7) الاسمُ: أيْ مَا هيَ أسماءُ هذَا الفنِّ، ومَا الاسمُ الذِي يُطلقُ عليهِ عندَ المتقدِّمينَ وعندَ المتأخِّرينَ منْ أهلِ الصَّنعةِ، وهذَا مفيدٌ جدًّا وهوَ منْ معرفةِ مصطلحاتِ أهلِ الصَّنعةِ فِي بابهمْ.

8) الاستمدادُ: أيْ منْ أينَ يستمدُّ هذَا العلمُ أصولهُ، ومادَّتهُ، فكلُّ علمٍ لَا بدَّ لهُ منْ أصولٍ يستمدُّ منهَا أحكامهُ، وهوَ عبارةٌ عنْ دليلٍ لهذَا العلمِ.

9) حكمُ الشَّارِعِ: أيْ معرفةُ مَا حكمُ الشَّريعةِ فِي تعلُّمِ هذَا العلمِ، هلْ هوَ منَ الفروضِ الأعيانِ، كالمعلومِ منَ الدِّينِ بالضَّرورة، أمْ منْ فروضِ الكفاياتِ، ومَا الحدُّ الذِي يسقطُ بِهِ الواجبُ الفرديُّ والإثمُ الجماعيُّ، ويَعلمُ أيضًا هلْ هذَا العلمُ محرَّمٌ تعلُّمهُ أوْ لَا، فالسِّحرُ يحرمُ تعلُّمهُ، وكثيرٌ منَ العلومِ يُكرهُ تعلُّمهَا كعلومِ الصُّوفيَّةِ ومنْ سارَ علَى دربهِمْ.

10) المسائلُ: أيْ معرفةُ مسائلِ هذَا العلمِ إجمالًا، وهوَ يساعدُ علَى فهمِ فروعِ العلمِ، فبمعرفتكَ لمسائلِ علمٍ، فقدْ حوْصَلتهُ ومَا بقيَ إلَّا التَّفريعُ.

****


الفصل الأوّل
مبادئ علم أصول التفسير
العشرة

مبادئُ علمِ أصولِ التَّفسيرِ

ليشمل مبادئ التفسير

1) الحدُّ أيِ التَّعريفُ:

أوَّلًا لفظُ أصولُ التَّفسيرِ مركَّبٌ إضافِي، وهوَ فِي ذاتِهِ، اسمٌ لعلمٍ خاصٍ، ولكنَّ تركيبهُ الإضافِي هوَ جزءٌ منْ حقيقتهِ، فهوَ ليسَ اسماً خالصاً، فقدِ انقطعَ عنْ أصلِ الإضافةِ التِي تتكوَّنُ منَ مضافٍ ومضافٍ إليهِ، ولذَا كانَ لابدَّ منْ تعريفهِ تعريفُ جزأيهِ، ولهذَا السَّببِ نتَّجهُ إلَى تعريفِ هذينِ الجُّزأينِ[1]:

أ) الأصولُ لغةً:

فالأصولُ جمعُ أصلٍ، والأصلُ فِي اللُّغةِ يطلقُ باطلاقاتٍ متعدِّدةٍ، وأهمُّهَا أمرانِ همَا:

1) مَا يبنَى عليهِ غيرهُ حسًّا أوْ معنىً، أوْ مَا يرتكزُ عليهِ الشَّيءُ ويبنَى، فالأوَّلُ كبناءِ الحائطِ علَى الأساسِ، والثَّانِي كبناءِ الحكمِ علَى الدَّليلِ، فكلٌّ منَ الأساسِ والدَّليلِ أصلٌ، لأنَّهُ يبنَى عليهِ غيرهُ.

2) منشَأُ الشَّيءِ، مثلَ القطنِ فإنَّهُ أصلُ المنسوجاتِ لأنَّهَا تنشأُ منهُ، والبرتقالُ أصلُ العصيرِ، وهكذَا.

---

(1) الإتقان – ج 2 – ص 489.

ب) الأصلُ فِي الاصطلاحِ:

فإنَّهُ يطلقُ بإطلاقاتٍ أربعةٍ وهيَ:

1) الصُّورةُ المقيسُ عليهَا:

كقولكَ الخمرُ أصلُ النَّبيذِ، أيْ بمعنَى أنَّ الخمرَ مقيسٌ عليهَا النَّبيذُ فِي الحرمةِ.

2) القاعدةُ: كقولهِ تعالَى:

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبَرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ}[البقرة: 127] وقواعدُ البيتِ هيَ أساسهُ وأساسهُ هوَ أصلهُ.

3) الرَّاجحُ:

ومثالهُ الأصلُ فِي الكلامِ الحقيقةُ، أيِ الرَّاجحُ عندَ السَّامعِ هوَ المعنَى الحقيقِي دونَ المعنَى المجازِي لعدمِ القرينةِ الدَّالةِ عليهِ.

4) الدَّليلُ:

كقولكَ الأصلُ فِي تحريمِ الرِّبَا قولهُ تعالَى:

{وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}[البقرة:275].

أوِالأصلُ فِي تحريمِ الزِّنَا قولهُ تعالَى:

{وَلَا تقربُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً}[الإسراء:32] أيْ أنَّ الدَّليلَ علَى تحريمِ كلٍّ منَ الرِّبَا والزِّنَا، النَّصُّ القرآنِي الذِي يُعدُّ دليلًا لكلٍّ منهمَا.

ومنْ هذَا يتبيَّنُ أنَّ المعنَى اللُّغوِي للأصلِ، متسِّقٌ معَ المعنَى الاصطلاحِي، وذلكَ لأنَّ علمَ أصولِ التَّفسيرِ عندَ الأصوليينَ هوَ مَا يُبنَى عليهِ التَّفسيرُ حسبَ قواعدهِ ومناهجهِ.

قالَ ابنُ فارسٍ:الأسُّ هوَ الأصلُ...ووردتْ فِي لفظةِ الأسِّ آيةٌ قالَ تعالَى {أَمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ}[التوبة:109].

وقالَ عنِ القاعدةِ: هيَ تدلُّ علَى ثبوتِ الشَّيءِ علَى الشَّيءِ، ومنهُ قواعدُ البيتِ، وردَ فِي القرآنِ آياتٌ عنْ مادةِ القواعدِ بهذَا المعنَى قالَ تعالَى {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ}[1][البقرة:127].

ج) التَّفسيرُ لغةً:

مصدرٌ علَى وزنِ "تفعيلٌ"، وهوَ منَ الفسْرِ وهوَ البيانُ والكشفُ، ويقالُ هوَ مقلوبُ السَّفرِ، تقولُ أسفرَ الصُّبحُ إذَا أضاءَ، (وبان كل شيء)، (وأسفرت المرأة عن وجهها، إذا بان وجهها وعُرفت) وقيلَ مأخوذٌ منَ التَّفسرةِ وهيَ اسمٌ لمَا يعرفُ بهِ الطَّبيبُ المرضَ[2].

فالتَّفسيرُ مأخوذٌ منَ الفسْرِ الذِي هوَ كشفُ المغطَّى[3]

أوِ اظهارُ المعنَى المعقولِ[4]، وبينَ المادَّتينِ "الكشفُ" و"الإظهارُ" تلازمٌ، إلَّا أنَّ الرَّاغبَ الأصفهانِي أضافَ أنَّ الفسرَ يكونُ فِي بيانِ المعنَى المعقولِ.

قالَ فِي القاموسِ: "الفسرُ أيِ الإبانةُ وكشفُ المغطَّى".

يقالُ: أسفرَ الصُّبحُ إذَا أضاءَ[5] .

ومنهُ قولهُ تعالَى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}[الفرقان:33].

---

(1) مقاييس اللغة عن الأساس لابن فارس.

(2) لسان العرب حرف الراء فصل الفاء ج5 ص55

(3) المفردات ص381

(4) قاموس المعاني. وانظر تفسير الضَّحَّاك المجلد الأوَّل، المقدمة صـ 15.

(5) السابق.

د) التَّفسيرُ اصطلاحًا:

بيانُ كلامِ الله تعالَى؛ أوْ تقولُ:علمٌ يعرفُ بِهِ فهمُ كلامِ اللهِ تعالَى، وبيانُ معانيهِ، واستخراجُ أحكامهِ وحكَمهِ[1].

وقدْ عرَّفهُ بعضُ العلماءِ كمَا نقلَ السُّيوطِيُّ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي كتابهِ "الإتقانُ" بأنَّهُ: علمُ نزولِ الآياتِ وشؤونهَا وأقاصيصهَا، والأسبابِ النَّازلةِ فيهَا، ثمَّ ترتيبُ مكيِّهَا ومدنيِّهَا، ومحكمهَا ومتشابههَا، وناسخهَا ومنسوخهَا، وخاصِّهَا وعامِّهَا، ومطلقهَا ومقيَّدهَا، ومجملهَا ومفسَّرهَا، وحلالهَا وحرامهَا، ووعدهَا ووعيدهَا، وأمرهَا ونهيهَا، وعِبَرِهَا وأمْثَالِهَا[2].

وقالَ الزُّرقانيُّ فِي تعريفهِ للتَّفسيرِ: هوَ علمٌ يُبْحثُ فيهِ عنْ أحوالِ القرآنِ الكريمِ، منْ حيثُ دلالتهِ علَى مرادِ اللهِ تعالَى بقدرِ الطَّاقةِ البشريَّةِ[3].

ه) أصولِ التَّفسيرِ بالمعنَى الإضافِي:

بعدَ أنِ انتهينَا منَ الكلامِ علَى اللَّفظينِ المتضَايفينِ فِي لفظِ (أصولِ التَّفسيرِ)، ننتقلُ إلَى توضيحِ مدلولِ هذَا المصطلحِ الذِي هوَ فِي ذاتهِ اسمٌ لعلمٍ خاصٍ.

فإنَّ الفارقَ بينَ التَّفسيرِ وأصولهِ، هوَ أنَّ الأصولَ هيَ القواعدُ والضوابطُ التِي تحدُّ وتبيِّنُ الطَّريقَ الذِي يلتزمهُ المفسِّرُ فِي تفسيرِ الآياتِ الكريمةِ، وأمَّا التَّفسيرُ فهوَ إيضاحهَا وبيانهَا معَ التَّقيُّدِ بهذهِ القواعدِ والضَّوابطِ.

---

(1) كتاب التَّفسير – مجموعة زاد للعلوم الشَّرعية – إشراف: محمد صالح المنجد.
(2) الإتقان ج2 ص491.
(3) مناهل العرفان ج1 ص423.

ويفرِّقُ العلماءُ بينَ القواعدِ والضَّوابطِ، بأنَّ الأولَى تجمعُ فروعاً منْ أبوابٍ شتَّى، بينمَا الثَّانيةُ تجمعُ فروعاً منْ بابٍ واحدٍ، لذلكَ تقعُ جملةٌ منَ الضَّوابطِ تحتَ القاعدةِ الواحدةِ.

مثالُ ذلكَ: القاعدةُ تقولُ: يفسَّرُ القرآنُ بالقرآنِ ثمَّ بالسُّنَّةِ ثمَّ بأقوالِ الصَّحابةِ ثم بأقوالِ التَّابعينَ ثمَّ بعلومِ اللُّغةِ العربيَّةِ، ثمَّ تأتِي الضَّوابطُ بعدَ ذلكَ فتقولُ: لَا يجوزُ تفسيرُ القرآنِ بالقراءةِ الشَّاذَّةِ المضادَّةِ لمَا تواترَ، ولَا يجوزُ تفسيرهُ بالسُّنَّةِ غيرِ الثَّابتةِ عنِ النَّبِيِّ ﷺ، ولَا يجوزُ تفسيرهُ بقولِ الصَّحابِي إنْ خالفَ القرآنَ أوِ السُّنَّةِ الثَّابتةِ، أو جمعًا منَ الصَّحابةِ.

و) التَّدبُّرُ:

وهوَ نوعٌ منَ التَّفسيرِ، قالَ اللهُ تعالَى فِي حقِّهِ: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[النساء: 82]، والمتدبِّرُ فِي قولهِ تعالَى: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ}[الصافات: 65]، فمنْ تدبَّرَ قولهُ (رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ) ولمْ يكنْ أحدٌ رآهَا منَ الإنسِ، فسوفَ يدركُ بشاعةَ وقبحَ تلكَ الرُّؤُوسِ بحيثُ لوْ تخيَّلَ شكلهَا لتخيَّلَ أبشعَ صورةٍ ممكنةٍ، وتصوُّرهُ صحيحٌ لذلكَ يكونُ التدبُّرُ نوعًا منَ التَّفسيرِ، ويُمنعُ هذَا النَّوعُ منَ التدبُّرِ الذِي يقودُ إلَى التَّصَوُّرِ فِي ذاتِ اللهِ تعالَى وصفاته خاصةً.

فائدة: لَا يكونُ التَّدبُّرُ إلَّا بعدَ تعلُّمِ التَّفسيرِ، فلَا يجوزُ عقلًا أنْ تدبَّر رسالةً ضوابط لا تعلمها، فالأصلُ أنْ تفسِّرَ الرِّسالةَ بعد تعلم ضوابطها ثمَّ بعدَ ذلكَ تتدبَّرُ معانيهَا.

وبعدَ مَا سبقَ يمكننَا تعريفُ علمِ "أصولِ التَّفسيرِ" بأنَّهُ:

العلمُ الذِي يُبيِّنُ المناهجَ التِي انتهجهَا وسارَ عليهَا المفسِّرونَ الأوائلُ فِي استنباطِ الأسرارِ القرآنيَّةِ، والتَّعرُّفِ علَى الأحكامِ الشَّرعيَّةِ منَ النُّصوصِ القرآنيَّةِ التِي تُبنَى عليهَا، وتلمسُ المصالحَ التِي قصدَ إليهَا القرآنُ الكريمُ.

فهوَ مجموعةٌ منَ القواعدِ والضَّوابطِ التِي تبيِّنُ للمفسِّرِ طُرُقَ استخراجِ أسرارِ هذَا الكتابِ الحكيمِ، بحسبِ الطَّاقةِ البشريَّةِ، وتُظهرُ مواطنَ العبرةِ منْ أنبائهِ، وتكشفُ مراتبَ الحججِ والأدلَّةِ منْ آياتهِ، فعلَى هذَا تعينُ علومُ أصولِ التَّفسيرِ علَى فهمِ معانيهِ وإدراكِ عبرهِ وأسرارهِ، وترسمُ المناهجَ لتعرُّفهَا، وتضعُ القواعدَ والضَّوابطَ ليسيرَ المفسِّرُ علَى منهاجهَا القويمِ فِي سيرهِ أثناءَ تفسيرهِ.

واختصارًا فعلمُ أصولِ التَّفسيرِ هوَ مجموعةٌ منَ القواعدِ والضَّوابطِ أوِ المرتكزاتِ الأساسيَّةِ التِي تحكمُ المفسِّرَ فِي عمليَّةِ تفسيرِ القرآنِ الكريمِ.

وإنَّ مثلَ علمِ أصولِ التَّفسيرِ بالنِّسبةِ للتَّفسيرِ، كمثلِ علمِ النَّحوِ بالنِّسبةِ للنُّطقِ العربِي، فهوَ ميزانٌ يضبطُ اللِّسانَ والقلمَ، ويمنعهمَا منَ الخطأِ فِي آخرِ الكلمِ، فكذلكَ علمُ أصولِ التَّفسيرِ فهوَ ميزانٌ للمفسِّرِ فيضبطهُ ويمنعهُ منَ الخطأِ فِي التَّفسيرِ، ولأنَّهُ ميزانٌ فإنَّهُ يتبيَّنُ بهِ التَّفسيرُ الصَّحيحُ منَ التَّفسيرِ الفاسدِ، كمَا يُعرفُ بالنَّحوِ الكلامُ الصَّحيحُ منَ الكلامِ غيرِ الصَّحيحِ.

(2) موضوعه:

موضوعُ علمِ أصولِ التَّفسيرِ هوَ: كلامُ اللهِ تعالَى[1] منْ حيثُ كيفيَّةِ بيانِ معانيهِ، والأصولِ والقواعدِ المُرْتَكَزِ عليهَا فِي ذلكَ.

(3) ثمرتهُ أيْ فائدتهُ:

الثَّمرةُ المرجوَّةُ منْ تعلُّمِ علمِ أصولِ التَّفسيرِ هوَ:

أوَّلًا: التَّفسيرُ الصَّحيحُ لكلامِ اللهِ تعالَى.

(1) الإتقان ج2 ص496.

ثانيًا: التذكُّرُ والإعتبارُ، ومعرفةُ هدايةِ اللهِ تعالَى فِي العقائدِ والعباداتِ والمعاملاتِ والأخلاقِ، ليفوزَ الأفرادُ والمجاميعُ بخيرِ العاجلةِ والآجلةِ[1].

ثالثًا: حصولُ القدرةِ والملكةِ لاستنباطُ الأحكامِ منهُ للحوادثِ التِي لمْ ينزلْ فيهَا حكمٌ مسبقًا، قالَ الطَّبرِيُّ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي قولهِ تعالَى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ}[النساء: 83]، وكلُّ مستخرجٍ شيئًا كانَ مستترًا عنْ أبصارِ العيونِ أوْ عنْ معارفِ القلوبِ، فهوَ لهُ: "مستنبطٌ"، يقالُ: "استنبطتَ الرَّكيةَ "[2]، إذَا استخرجتَ ماءهَا،"ونَبَطتهَا أنبطهَا"، و"النَّبَطُ"، الماءُ المستنبطُ منَ الأرضِ، ومنهُ قولُ الشَّاعرِ:[3]

قَرِيبٌ ثَرَاهُ مَا يَنَالُ عَدُوُّهُ * لَهُ نَبطًا آبِي الهَوَانِ قَطُوبُ[4].

يعني: بِ " النَّبطِ"، الماءُ المستنبطُ[5].

---

(1) مناهل العرفان ج1 ص429.

(2) "الركية": البئر تحفر.

(3) هو كعب بن سعد الغنوي، أو: غريقة بن مسافع العبسي، وانظر تفصيل ذلك في التعليق على الأصمعيات.

(4) الأصمعيات: 103، وتخريجه هناك. وقوله: "قريب الثرى"، يريدون كرمه وخيره. و"الثرى": التراب الندي ، كأنه خصيب الجناب. وقوله: "ما ينال عدوه له نبطًا" ، أي لا يرد ماءه عدو ، من عزه ومنعته ، / إذا حمى أرضًا رهب عدوه بأسه."آبى الهوان" لا يقيم على ذل. و"قطوب": عبوس عند الشر.

(5) تفسير الطبري: سورة النساء آية 83.

(4) فضلهُ:

قالَ الأصبهانِيُّ: أشرفُ صناعةٍ يتعاطاهَا الإنسانُ، تفسيرُ القرآنِ الكريمِ، ذلكَ أنَّ شرفَ الصِّناعةِ يكونُ إمَّا بشرفِ موضوعهَا أوْ بشرفِ غرضهَا أوْ بشدَّةِ الحاجةِ إليهَا، والتَّفسيرُ قدْ حازَ الشَّرفَ منَ الجهاتِ الثَّلاثِ، فموضوعهُ كلامُ اللهِ تعالَى، والغرضُ منهُ الوصولُ إلَى السعادةِ الحقيقيَّةِ التِي لَا تفنَى، وأمَّا منْ جهةِ شدَّةِ الحاجةِ، فلأنَّ كلَّ كمالٍ دينِيٍّ أوْ دنياوِيٍّ عاجلٍ أوْ آجلٍ مفتقرٌ إلَى العلومِ الشَّرعيَّةِ والمعارفِ الدِّينيَّةِ، وهيَ متوقفَّةٌ علَى العلمِ بكتابِ اللهِ تعالَى[1] اهـ، وكلُّ هذَا لَا يتمُّ إلَّا بتعلُّمِ أصولِ هذَا الفنِّ.

وقالَ الطَّبرِيُّ مبيِّنًا فضلَ هذَا العلمِ: اعلمُوا عبادَ اللهِ أنَّ أحقَّ مَا صُرفتْ إلَى علمهِ العنايةُ وبلغتْ فِي معرفتهِ الغايةُ، مَا كانَ للهِ فِي العلمِ بهِ رضًا، وللعالمِ بهِ إلَى سبيلِ الرُّشدِ هدًى، وأنَّ أجمعَ ذلكَ لِبَاغِيهِ، كتابُ اللهِ تعالَى الذِي لَا ريبَ فيهِ، وتنزيلهُ الذِي لَا مريةَ فيهِ، الفائزِ بجزيلِ الذُّخرِ وسنَى الأجرِ تاليهِ، الذِي لَا يأتيهِ الباطلُ منْ بينِ يديهِ ولَا منْ خلفهِ، تنزيلٌ منْ حكيمٍ حميدٍ[2].

(5) نسبتهُ:

علمُ التَّفسيرِ منَ العلومِ الشَّرعيَّةِ، وهوَ منَ العلومِ بمنزلةِ الإنسانِ منَ العينِ، والعينِ منَ الإنسانِ[3].

---

(1) الإتقان ج2 ص496 باختصار.

(2) تفسير الطبري ج1 ص5.

(3) غرائب القرآن ج1 ص5.

(6) واضعهُ:

واضع علم أصول التفسير والتفسير هو النَّبيُّ ﷺ، فقدْ كانَ أولَّ مفسِّرٍ لكتابِ اللهِ تعالَى، يبيِّنُ للنَّاسِ مَا نُزِّلَ علَى قلبهِ[1]، لقولهِ تعالَى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[النحل:44] وهوَ الذِي قعَّدَ القواعدَ لهذَا العلمِ حيثُ فسَّرَ القرآنَ بالقرآنِ أوَّلًا، ثمَّ بمَا أوحَى اللهُ تعالَى إليهِ فِي تفسيرِ بعضِ الآياتِ وهوَ مَا يُسمَّى "التَّفسيرُ بالسَّنةِ".

وإن قلت أنَّ أوَّل من فسَّر القرآن هو الله تعالى لصدقت، فقد فسَّر لنا الله تعالى القرآن بالقرآن في العديد من الآيات، وأحال غيرها إلى النبي ﷺ ليُفسرها للناس، ومع ذلك فدكان تفسير النبي ﷺ للقرآن بوحي من الله تعالى، وعليه فأوَّل من فسَّر القرآن هو الله تعالى.

(7) اسمهُ:

علمُ أصولِ التَّفسيرِ، وعلمُ قواعدِ التَّفسيرِ، وعلمُ التَّفسيرِ، ويُسمَّى علمُ أصولِ التَّفسيرِ بالتَّفسيرِ، لأنَّ التَّفسيرَ فرعٌ منهُ فالأصلُ أولَى بالتَّسميةِ، وسميَّ بعلمِ التَّفسيرِ لمَا فيهِ منَ الكشفِ والتَّبيينِ، واختصَّ بهذَا الاسمِ دونَ بقيِّةِ العلومِ، معَ أنَّهَا مشتملةٌ علَى الكشفِ والتَّبيينِ، لجلالةِ قدرهِ، وقصدهِ إلَى تبيينِ مرادِ اللهِ تعالَى منْ كلامهِ، فكانَ كأنَّهُ هوَ التَّفسيرُ وحدهُ دونَ مَا عداهُ[2].

ومنْ أسمائهِ: علمُ التَّأويلِ، والتَّأويلُ مأخوذٌ منَ الأولِ وهوَ الرُّجوعُ[3].

قالَ فِي القاموسِ: آلَ إليهِ أولًا ومآلًا: رجعَ، وآلَ عنهُ: ارتدَّ، يُقالُ: أوَّلَ الكلامَ تأوُّلًا وتأوَّلهُ: دبَّرهُ وفسَّرهُ[4].

---

(1) الوحي والقرآن لسرحان ص126.

(2) مناهل العرفان ج1 ص429.

(3) مجموعة زاد للعوم الشَّرعية – كتاب التَّفسير – محمد صالح المنجد.

(4) قاموس المعاني.

ومنهُ قولُ النَّبيِّ ﷺ فِي ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ يدعُو لهُ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ"[1].

ولكنَّ هذَا التَّعريفُ للتَّأويلِ كانَ لسلفنَا الصَّالحِ، فخلفَ منْ بعدهمْ خلفٌ، حرَّفُوا الكلمَ عنْ مواضعهِ، ونسُوا حظًّا ممَّا ذُكِّرُوا بهِ، فصارَ بعدَ ذلكَ لفظُ التَّأويلِ علَى ثلاثةِ أقسامٍ، قسمانِ ممدوحانِ وقسمٌ مذمومٌ مردودٌ؛

فائدةٌ: التَّأويلِ وأقسامهِ:

يطلقُ التَّأْويلُ فِي اللُّغةِ علَى عدَّةِ معانٍ: منهَا تأويلُ الكلامِ تفسيرهُ وبيانُ معناهُ[2].

والمرجعُ، تقولُ: أَوَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ أي أرْجَعَهَا، وأعَادَهَا إلَيْكَ[3].

والمصيرُ والعاقبةُ، وتلكَ المعانِي موجودةٌ فِي القرآنِ والسنَّةِ، قالَ اللهُ تعالَى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ}[الأعراف: 53]، أيْ: عاقبته[4]، وقالَ الرَّسولُ ﷺ فِي دعائهِ لابنِ عبَّاسَ: "اللَّهمَّ فقِّههُ في الدِّينِ وعلِّمهُ التأويلَ"[5]، أيْ: علمهُ التَّفسيرَ.

أنواعِ التَّأويلِ وتعريفهُ فِي اصطلاحِ السَّلفِ:

التَّأويلُ: لهُ معنيانِ ممدوحانِ:

1 – أمَّا المعنَيانِ الممدوحانِ: فيُطلقُ التَّأويلُ بمعنَى التَّفسيرِ والبيانِ وإيضاحِ المعاني المقصودةُ منَ الكلامِ، فيقالُ: تأويلُ الآيةِ كذَا؛ أيْ معناهَا.

2 – ويطلقُ بمعنَى المآلِ والمرجعِ والعاقبةِ وتحقُّقِ الأمرِ، فيقالُ هذهِ الآيةُ مضَى تأويلهَا، كقولِهِ تعالَى: {وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّ}[يوسف: 100].

التَّأويلِ في اصطلاحِ أهلِ الكلامِ ولهُ معنى واحد مذمومٌ:

3 – عندَ الخلفِ من علماءِ الأصولِ والفقهِ الذِينَ ينتسبونَ لعلمِ الكلامِ: هوَ صرفُ اللَّفظِ عنِ المعنَى الرَّاجحِ إلَى المعنَى المرجوحِ لدليلِ يقترن به[6].

---

(1) رواه البخاري.

(2) معجم المعاني.

(3) السَّابق.

(4) الطَّبري.

(5) رواه البخاري.

(6) يُنظر علوم القرآن للقطَّان.

وهذَا التَّأويلُ مرفوضٌ عندَ السَّلفِ واعتبروهُ تحريفًا باطلاً فِي بابِ الصفاتِ الإلهيةِ، وقدْ ظهرَ هذَا المعنَى للتَّأويلِ متأخِّرًا عنْ عصرِ الرَّسولِ ﷺ والصَّحابةِ، بل ظهرَ معَ ظهورِ الفرقِ ودخلُوا منهُ إلَى تحريفِ النُّصوصِ تحريفًا معنويًّا، وكانتْ لهُ نتائجُ خطيرةٌ؛ إذْ كلَّمَا توغَّلُوا فِي تأويلِ المعانِي وتحريفهَا بعدُوا عنِ المعنَى الحقِّ الذِي تهدفُ إليهِ النُّصوصُ[1].

وخلاصةً أنواعُ التَّأويلِ ثلاثةٌ:

اثنانِ منهَا تأويلاتٌ صحيحةٌ ممدوحةٌ وهيَ:

1 – تأويلُ الأمرِ وقوعهُ.

2 – والتَّأويلُ بمعنَى التَّفسيرُ.

والنَّوعُ الثَّالثُ منَ التَّأويلِ هوَ التَّأويلُ الباطلُ الفاسدُ وهوَ:

3 – صرفُ اللَّفظِ عنِ المعنَى الرَّاجحِ إلَى المعنَى المرجوحِ.

وهوَ مَا يُعبَّرُ عنهُ بالتَّحريفِ المعنويِّ.

والتَّحريفُ لغةً:

التَّغييرُ والتَّبديلُ، وتحريفُ الكلامِ عنْ مواضعهِ: تغييرهُ[2].

واصطلاحًا:

العدولُ باللَّفظِ عنْ جهتهِ إلَى غيرهَا.

وهوَ علَى ثلاثةِ أنواعٍ:

1 – التَّحريفُ الإملائيُّ.

2 – والتَّحريفُ اللَّفظِيُّ.

3 – والتَّحريفُ المعنويُّ.

---

(1) انظر مجموع الفتاوي 4/68 – 70، والصَّواعق المرسلة 1/175 – 233، وشرح الطَّحاوية 231 – 236.

(2) مختار الصحاح 131.

1) التَّحريفُ الإملائيُّ هوَ: تغييرُ اللَّفظِ كتابةً، وهذَا لَا يكونُ طبعًا إلَّا فِي الكتبِ، ويستحيلُ علَى المعطِّلةِ فعلهُ[1].

2) وأمَّا التَّحريفُ اللَّفضي فهوَ: تحريفُ الإعرابِ، فيكونُ بالزِّيادة أوِ النُّقصان فِي اللَّفظِ، أوْ بتغييرِ حركةٍ إعرابيَّةٍ، كقولهمْ:

وكَلَّمَ اللهَ موسَى تَكْلِيمًا، بنصبِ الهاءِ فِي لفظِ الجلالةِ، والآيةُ فِي حقيقتهَا، {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}[النساء: 164]، وأرادُوا بذلكَ نفيَ صفةِ الكلامِ عنِ اللهِ تعالَى بجعلِ اسمهِ تعالى مفعولًا منصوبًا لَا فاعلًا مرفوعًا، أيْ أنَّ موسَى هوَ منْ كلَّمَ اللهَ تعالى، ولم يكلمهُ اللهُ تعالَى، ولمَّا حرَّفهَا بعضُ الجهميَّةِ[2] هذَا التَّحريفَ، قالَ لهُ بعضُ أهلِ التَّوحيدِ: فكيفَ تصنعُ بقولهِ: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}[الأعراف: 143]، فبهتَ المحرِّفُ.

3) وأمَّا التَّحريفُ المعنويُّ فهوَ: صرفُ اللَّفظِ عنْ معناهُ الصَّحيحِ إلَى غيرهِ معَ بقاءِ صورةِ اللَّفظِ[3].

أو تقولُ: هوَ العدولُ بالمعنَى عنْ وجهِ حقيقتهِ، وإعطاءِ اللَّفظِ معنَى لفظٍ آخرٍ بقدرٍ مشتركٍ بينهمَا. كتأويلهمْ معنَى "استوَى" بـ "استولَى" فِي قولهِ تعالَى: {الرَّحْمَنُ عَلَى العَرشِ اسْتَوَى}[طه:5].ومعنَى اليدِ بالقدرةِ والنِّعمةِ فِي قولهِ تعالَى:{بَلْ يَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ}[المائدة: 64].

ففِي التَّحريفِ الإملائي يكون التغيير في الكلمة نفسها كتابة، وفي التحريف اللَّفظِيِّ يكون النُّطقُ بالكلمةِ معَ إعرابها، وفِي التَّحريفُ المعنوِيِّ يكونُ النطق سليما موافقا للرسم، لكن بإعطاءِ الكلمةِ معنًى آخرَ مخالفًا لحقيقتهَا، وهوَ المرَادُ بالتَّأويلِ الفاسدِ الذِي هوَ صرفُ اللَّفظِ عنِ المعنَى الرَّاجحِ إلَى المعنَى المرجوحِ، وبهذًا تدركُ شرَّ هذَا النَّوعِ منَ التَّأويلِ.

---

(1) الجهمية والمعتزلة.

(2) الجهمية أو المُعَطِّلَة هي فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، ظهرت في الربع الأول من القرن الهجري الثاني، على يد مؤسسها الجهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية.

(3) الصَّواعقُ المنزلة 1/201.

أقول العلماء في نبذ التأويل الفاسد

1 – قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: كان الزهري ومكحول يقولان: أمروا هذه الأحاديث كما جاءت[1].

وقراءتها: تفسيرها، كما قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في القرآن، فقراءته تفسيره، لا كيف، ولا مثل[2].

2 – وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه، واليد، والنفس، فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفة بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته – تعالى – بلا كيف[3].

3 – وقال محمد بن الحسن رحمه الله تعلى في أحاديث الصفات كالنزول ونحوه: إن هذه الأحاديث قد روتها الثقات، فنحن نرويها، ونؤمن بها، ولا نفسرها[4].

5 – وقال الوليد بن مسلم: سألت مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث ابن سعد، والأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات، فقالوا: أمروها كما جاءت[5].

6 – وقال أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين رحمهما الله: وأثبتنا علو ربنا سبحانه، وفوقيته، واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك، والصدور تنشرح له، فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره...[6].

---

(1) رواه ابن قدامة في ذم التأويل ص 18، واللالكائي في شرح أصول السنة 430/3، 431 وذكر الترمذي نحوه 24/3 وانظر جامع بيان العلم 118/2.

(2) رواه الدارقطني في الصفات 41 وابن قدامة في ذم التأويل 19، ونحوه عند البيهقي في الصفات 409 وصححه ابن حجر في الفتح 407/13.

(3) كتاب ((الفقه الأكبر)) (ص: 185).

(4) ((ذم التأويل)) (ص: 14) وشرح أصول السنة – اللالكائي – (433/3) برقم: 741، و((العلو للذهبي)) (ص: 89، 90).

(5) الشريعة للآجري 314 والأسماء والصفات للبيهقي 453 والاعتقاد للبيهقي 118 والانتقاء لابن عبد البر 36 وذم التأويل 20.

(6) ((رسالة في إثبات الاستواء والفوقية))... لأبي محمد الجويني (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية) (181/1).

7 – وقال القاضي أبو يعلى رحمه الله: لا يجوز رد هذه الأخبار (على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة) ولا التشاغل بتأويلها (على ما ذهب إليه الأشعرية) والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله تعالى، لا تشبه سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، وغيره من أئمة أصحاب الحديث[1].

8 – وقال أبو بكر الخطيب البغدادي رحمه الله: أما الكلام في الصفات، فإن ما روي عنها في السنن الصحاح، مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها... ولا نقول: معنى اليد: القدرة، ولا إن معنى السمع والبصر: العلم، ولا أن نقول إنها جوارح... ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}[الشورى: 11] {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[الإخلاص: 4][2].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح الواسطية: وأهل السنة والجماعة إيمانهم بما وصف الله به نفسه خال من التحريف، يعني: تغيير اللفظ أو المعنى.

وتغيير المعنى يسميه القائلون به تأويلاً، ويسمون أنفسهم بأهل التأويل، لأجل أن يصبغوا هذا الكلام صبغة القبول، لأن التأويل لا تنفر منه النفوس ولا تكرهه، لكن ما ذهبوا إليه في الحقيقة تحريف، لأنه ليس عليه دليل صحيح، إلا أنهم لا يستطيعون أن يقولوا: تحريفاً! ولو قالوا: هذا تحريف، لأعلنوا على أنفسهم برفض كلامهم.

---

(1) كتاب ((إبطال التأويلات)) (ص: 4) (مخطوط).

(2) رواه أحمد (266/1) (2397)، والطبراني (263/10)، والحاكم (615/3). من حديث ابن عباس رضي الله عنه. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (2589): صحيح.

ولهذا عبر المؤلف (يعني ابن تيمية) رحمه الله – تعالى – بالتحريف دون التأويل مع أن كثيراً ممن يتكلمون في هذا الباب يعبرون بنفي التأويل، يقولون: من غير تأويل، لكن ما عبر به المؤلف أولى لوجوه أربعة:

الوجه الأول: أنه اللفظ الذي جاء به القرآن، فإن الله تعالى قال: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ[النساء: 46]، والتعبير الذي عبر به القرآن أولى من غيره، لأنه أدل على المعنى.

الوجه الثاني: أنه أدل على الحال، وأقرب إلى العدل، فالمؤول بغير دليل ليس من العدل أن تسميه مؤولاً، بل العدل أن نصفه بما يستحق وهو أن يكون محرفاً.

الوجه الثالث: أن التأويل بغير دليل باطل، يجب البعد عنه والتنفير منه، واستعمال التحريف فيه أبلغ تنفيراً من التأويل، لأن التحريف لا يقبله أحد، لكن التأويل لين، تقبله النفس، وتستفصل عن معناه، أما التحريف، بمجرد ما نقول: هذا تحريف. ينفر الإنسان منه، إذا كان كذلك، فإن استعمال التحريف فيمن خالفوا طريق السلف أليق من استعمال التأويل.

الوجه الرابع: أن التأويل ليس مذموماً كله، قال النبي ﷺ: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل"[1]، وقال الله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}[آل عمران: 7]، فامتدحهم بأنهم يعلمون التأويل.

---

(1) رواه البخاري (817)، ومسلم (484). من حديث عائشة رضي الله عنها.

والتأويل ليس كله مذموماً، لأن التأويل له معان متعددة، يكون بمعنى التفسير، ويكون بمعنى العاقبة والمآل، ويكون بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره.

أ) يكون بمعنى التفسير، كثير من المفسرين عندما يفسرون الآية، يقولون: تأويل قوله تعالى كذا وكذا، ثم يذكرون المعنى، وسمي التفسير تأويلاً، لأننا أوّلنا الكلام، أي: جعلناه يؤول إلى معناه المراد به.

ب) تأويل بمعنى: عاقبة الشيء، وهذا إن ورد في طلب، فتأويله فعله إن كان أمراً وتركه إن كان نهياً، وإن ورد في خبر، فتأويله وقوعه.

مثاله في الخبر قوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ}[الأعراف: 53]، فالمعنى: ما ينتظر هؤلاء إلا عاقبة ومآل ما أخبروا به، يوم يأتي ذلك المخبر به، يقول الذين نسوه من قبل: قد جاءت رسل ربنا بالحق.

ومنه قول يوسف لما خرَّ له أبواه وإخوته سجداً قال: {هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ}[يوسف: 100]، هذا وقوع رؤياي، لأنه قال ذلك بعد أن سجدوا له.

ومثاله في الطلب قول عائشة رضي الله عنها: "كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده بعد أن أنزل عليه قوله تعالى: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}[النصر: 1]، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن"[1]، أي: يعمل به.

ج) المعنى الثالث للتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا النوع ينقسم إلى محمود ومذموم، فإن دل عليه دليل، فهو محمود النوع ويكون من القسم الأول، وهو التفسير، وإن لم يدل عليه دليل، فهو مذموم، ويكون من باب التحريف، وليس من باب التأويل.

(1) رواه البخاري (142)، ومسلم (375). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وهذا الثاني هو الذي درج عليه أهل التحريف في صفات الله عز وجل.

مثاله قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}[طه: 5] ظاهر اللفظ أن الله تعالى استوى على العرش: استقر عليه، وعلا عليه، فإذا قال قائل: معنى (اسْتَوَى): استولى على العرش، فنقول: هذا تأويل عندك لأنك صرفت اللفظ عن ظاهره، لكن هذا تحريف في الحقيقة، لأنه ما دل عليه دليل، بل الدليل على خلافه، كما سيأتي إن شاء الله.

فأما قوله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ}[النحل: 1]، فمعنى: أَتَى أَمْرُ اللّهِ، أي: سيأتي أمر الله، فهذا مخالف لظاهر اللفظ لكن عليه دليل وهو قوله: فَلَا تَسْتَعْجِلُوه.

وكذلك قوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[النحل: 98]، أي: إذا أردت أن تقرأ، وليس المعنى: إذا أكملت القراءة، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لأننا علمنا من السنة أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا أرد أن يقرأ، استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، لا إذا أكمل القراءة، فالتأويل صحيح.

وكذلك قول أنس بن مالك: "كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء، قال: أعوذ بالله من الخبث والخبائث"[1]، فمعنى (إذا دخل): إذا أراد أن يدخل، لأن ذكر الله لا يليق داخل هذا المكان، فلهذا حملنا قوله: (إذا دخل) على إذا أراد أن يدخل: هذا التأويل الذي دل عليه صحيح، ولا يعدو أن يكون تفسيراً.

---

(1) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان بن علي بن حسن – 2/ 572.

ولذلك قلنا: إن التعبير بالتحريف عن التأويل الذي ليس عليه دليل صحيح أولى، لأنه الذي جاء به القرآن، ولأنه ألصق بطريق المحرف، ولأنه أشد تنفيراً عن هذه الطريقة المخالفة لطريق السلف، ولأن التحريف كله مذموم، بخلاف التأويل، فإن منه ما يكون مذموماً ومحموداً، فيكون التعبير بالتحريف أولى من التعبير بالتأويل من أربعة أوجه[1].

وكلُّ هذا العرض قدَّمناه تعزيزا لقولنا بأنَّ التأويل الفاسد هو عين التَّحريف المعنوي، فيجب الحذر من هذا.

---

(1) شرح العقيدة الواسطية لمحمد بن صالح بن عثيمين – 87/1.

(8) استمدادُهُ:

يستمدُّ علمُ أصولِ التَّفسيرِ مادَّتهُ منْ علومِ القرآنِ، والسُّنَّةِ، وآثارِ الصَّحابةِ[1] واللُّغةِ، والنَّحوِ، والتَّصريفِ، وعلمِ البلاغةِ، وقواعدِ التَّرجيحِ، والقراءاتِ، و أسبابِ النُّزولِ، والنَّاسخِ والمنسوخِ[2].

(9) حكمهُ:

قدْ أجمعَ العلماءُ أنَّ علمَ أصولِ التَّفسيرَ منْ فروضِ الكفاياتِ، "بحيثُ لوْ تعلَّمهُ منْ يكفِي منَ الأمَّةِ سقطَ الإثمُ عنِ البقيَّةِ" ولمَّا كانَ علمُ أصولِ التَّفسيرِ أصلَ التَّفسيرِ، كانَ منْ أجلِّ العلومِ الثَّلاثةِ الشَّرعيَّةِ[3]، وهيَ: الحديثُ، والفقهُ، والتَّفسيرُ، وقيلَ أنَّ الحديثَ أجلُّهَا لأنُّهُ أعمُّ منْ التَّفسيرِ والفقهِ.

(10) مسائلهُ:

مسائلُ علمِ أصولِ التَّفسيرِ هيَ: القواعدُ والضَّوابطُ التِي يُبنَى عليهَا التَّفسيرُ، ليُفهمَ القرآنُ فهمًا صحيحًا.

---

(1) مجموعة زاد للعلوم الشَّرعية، كتاب التَّفسير، محمد صالح المنجد.

(2) البرهان ج1 ص13.

(3) الإتقان ج2 ص495 – بتصرُّف.

****


الفصل الثاني
نشأةُ علمِ أصولِ التّفسيرِ وتطوّرِه

نشأةُ علمِ أصولِ التَّفسيرِ وتطوُّرِه

مرَّ علمُ أصولِ التَّفسيرِ فِي نشأتهِ بخمسِ مراحلَ وهيَ:

أوَّلًا: تفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ:

ارتبطَ علمُ أصولِ التَّفسيرِ بالضَّرورةِ بالقرآنِ الكريمِ، فنشأَ بدايةً معَ نزولهِ، فكانَ منهُ مَا هوَ مفصَّلٌ واضحٌ، ومنهُ مَا كانَ مجملًا ويحتاجُ إلَى بيانٍ، فتأتِي الكلمةُ أوِ الجملةُ مجملةً فتفسِّرهَا كلماتٌ بعدهَا.

كقولهِ تعالَى: {الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ"، ثمَّ قالَ تعالَى: "يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ}[القارعة: 1 – 4] فَفُسَّرَ لفظُ القارعةِ بمَا بعدهُ.

ومثلَ قولهِ تعالَى: {إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا}[المعارج: 19 – 21] فَفُسِّرَ لفظةَ "هلوعًا" بمَا بعدهَا منَ الكلامِ.

وبيانُ القرآنِ الكريمِ بعضهُ بعضًا هوَ أوَّلُ طُرُقِ التَّفسيرِ، ولهُ أمثلةٌ كثيرةٌ منْ كتابِ اللهِ تعالَى.

ثانيًا: تفسيرُ النَّبِيِّ ﷺ للقرآنِ الكريمِ:

كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يفسِّرُ مَا نزَلَ مجملًا منْ كتابِ اللهِ تعالَى، ويُقيِّدُ مطلقهُ، ويُخصِّصُ عمومهُ، كمَا فِي قولِه تعالَى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءاتُوا الزَّكَاةَ}[النِّساءِ: 77] فهذِهِ آيةٌ مجملةٌ، ففسَّرهَا النَّبِيُّ ﷺ بالصَّلواتِ الخمسِ، وهيئةِ وعددِ ركعاتِهَا، حتَّى قالَ ﷺ: "صلُّوا كمَا رأيتمونِي أصلِّي"(1).

وفسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الزِّيادةَ فِي قولِه تعالَى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوْا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}[يونس: 26] بأنَّهُ النَّظرُ إلَى وجهِ اللهِ الكريمِ، كمَا فِي مسلمٍ(2).

ثالثًا: تفسيرُ الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عنهمْ:

فمنْ أعظمِ التَّفاسيرِ تفسيرُ الصَّحابةِ رضي الله عنهم، وكانَ منهجهُمُ البدءُ أوَّلًا بتفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ، ثمَّ بسنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ، ثمَّ بالنَّظرِ فِي غيرِ ذلكَ، كبيانِ أسبابِ النُّزولِ ونحوِهِ، وكانُوا يُفسِّرونهُ باجتهادٍ منهمْ، أوْ بمَا يدلُّ عليهِ اللَّفظُ فِي كلامِ العربِ وبيانِه(3).

---

(1) أخرجهُ البخاري.

(2) تفسيرُ ابن كثيرٍ قال: وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عفان، أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال: " إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا من النار؟ "، قال: " فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم ".

وهكذا رواه مسلم وجماعة من الأئمة، من حديث حماد بن سلمة، به .

(3) مجموعة زاد للعلوم الشَّرعية كتاب التَّفسيرِ – محمد صالح المنجد.

رابعًا: تفسيرُ التَّابعينَ:

ثمَّ تلقَّى التَّابعونَ هذَا العلمَ عنْ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، ففسَّروهُ علَى نحوِ تفسيرِ الصَّحابةِ، كمَا فِي قولهِ تعالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ}[الطور:21] قالَ سعيدُ بنُ جبير: أيْ ألحقَ اللهُ تعالَى الذُّريَّةَ بآبائهمْ فِي الدَّرجاتِ، معَ استحقاقهمْ دونَ درجاتِ الأباءِ فِي الجنَّةِ، تكريمًا للأباءِ وفضلًا منهُ سبحانهُ.

وقدِ استفادَ هذَا منِ ابنِ عبَّاسٍ فِي قولهِ: إنَّ اللهَ ليرفعُ ذريَّةَ المؤمنِ فِي درجتهِ، وإنْ كانُوا دونهُ فِي العملِ، لتقرَّ بهمْ عينهُ[1].

وهذَا الحديثُ اختُلِفَ فِي رفعهِ ووقفهِ، والأقربُ أنَّهُ مرفوعٌ، لأنَّ الصَّحابيَّ الذِي لَا يُحدِّثُ بالإسرائيليَّات إذَا تكلَّمَ عنْ أمورِ الغيبِ يأخذُ حديثهُ حكمَ الرَّفعِ، هذَا فِي مَا قرَّرهُ أهلُ الحديثِ.

لأنَّ إخبارَهُ بذَلِكَ يَقْتَضِي مُخْبِرًا لهُ، ومَا لَا مجالَ للاجْتِهَادِ فيهِ يَقْتَضِي مُوقِفًا لِلقَائِلِ بهِ، ولا مَوقِفَ لِلصَّحَابَةِ فِي أمورِ الآخرةِ إلاَّ النَّبِيُّ ﷺ، وإذَا كانَ كذَلِكَ فلهُ حُكْمُ مَا لوْ قالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ، فهوَ مرفوعٌ سواءٌ سمعَهُ منهُ أوْ بواسِطَةٍ[2].

---

(1) مجموعة زاد للعوم الشرعية – كتاب التفسير – محمد صالح المنجد.

(2) قال القرطبي: واختلف في معناه ; فقيل عن ابن عباس أربع روايات : الأولى أنه قال : إن الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ، وتلا هذه الآية. ورواه مرفوعا النحاس في "الناسخ والمنسوخ" له عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كان لم يبلغها بعمله لتقر بهم عينه ثم قرأ " والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان " الآية. قال أبو جعفر : فصار الحديث مرفوعا عن النبي ﷺ وكذا يجب أن يكون ; لأن ابن عباس لا يقول هذا إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ; لأنه إخبار عن الله عز وجل بما يفعله وبمعنى أنه أنزلها جل ثناؤه.

خامسًا: تفسيرُ العلماءِ:

ثمَّ درجَ علماءُ أهلِ السُّنَّةِ علَى نهجِ السَّابقينَ، يُفسِّرونَ القرآنَ بالقرآنِ والسُّنَّةِ، فأقوالِ الصَّحابةِ ثمَّ التَّابعينَ، فإنْ لمْ يجدُوا شيأً منْ ذلكَ، فسَّروهُ بالنَّظرِ فِي اللُّغةِ ومعانيهَا[1] ومنْ ثمَّ دُوِّنت أصولُ هذَا العلمِ الجليلِ فِي مؤلَّفاتٍ بناءً علَى طريقةِ السَّلفِ فِي أصولِ تفسيرهمْ للقرآنِ، ومنْ أبرزِ المؤلَّفاتِ والمؤلِّفينَ فِي فنِّ أصولِ التَّفسيرِ والتَّفسيرِ مَا سيأتِي ذكرهمْ فِي الفصولِ التَّاليةِ:

---

(1) مجموعة زاد للعلوم الشَّعية كتاب التَّفسير – محمد صالح المنجد.

****


الفصل الثالث
المؤلَّفاتُ المفردةُ في علمِ أصولِ التَّفسيرِ مع بيانِ شيءٍ من مناهجِ مؤلِّفيها

المؤلَّفاتُ المفردةُ فِي علمِ أصولِ التَّفسيرِ معَ بيانِ شيءٍ منْ مناهجِ مؤلِّفيهَا

1) «مقدمِّةٌ فِي أصولِ التَّفسيرِ»، لشيخِ الإسلامِ ابنِ تيمية رحمهُ اللهُ تعالَى (ت 728 هـ).

وقدْ تناولَ فيهَا مسألةَ بيانِ النَّبيِّ ﷺ للقرآنِ، واختلافِ التَّنوُّعِ والتَّضادِ فِي تفسيرِ السَّلفِ، وسببِ الاختلافِ فِي التَّفسيرِ منْ جهةِ النَّقلِ ومنْ جهةِ الاستدلالِ، وأحسنِ طرقِ التَّفسيرِ، وبعضِ المسائلِ العلميَّةِ ذاتِ الصِّلةِ بأصولِ التَّفسيرِ، وهيَ مقدِّمةٌ وجيزةٌ ليستْ بطويلةٍ، ولكنَّهَا فتحتِ البابَ للتَّأليفِ فِي أصولِ التَّفسيرِ علَى جهةِ الاستقلالِ بعدَ ذلكَ، وقدْ حظيَتْ بشروحٍ كثيرةٍ منْ عددٍ منَ العلماءِ المعاصرينَ، فشرحهَا الشَّيخُ محمَّدٌ بنُ عثيمينَ رحمهُ اللهُ تعالَى، والدُّكتورُ مساعدُ الطَّيَّارُ، وشرحهُ مطبوعٌ وهوَ منْ أجودِ شروحهَا، وشرحهَا أيضًا الشَّيخُ صالحٌ بنُ عبدِ العزيزِ آلِ الشَّيخِ وهوَ شرحٌ جيِّدٌ كذلكَ، ولهَا شروحٌ أخرَى.

2) «الفوزُ الكبيرُ فِي أصولِ التَّفسيرِ»، لأحمدَ بنِ عبدِ الرَّحيمِ الدَّهلوِي رحمهُ اللهُ تعالَى (ت 1176 هـ)

وهيَ رسالةٌ وجيزةٌ كتبهَا المؤلِّفُ بالفارسيَّةِ فلمْ تشتهرْ عندَ الباحثينَ، ثمَّ نقلهَا سلمانُ النَّدوِي للعربيَّة وطُبعتْ، ولكنَّ الكتابَ ليسَ دقيقًا فِي أصولِ التَّفسيرِ، فمعظمهُ بعيدٌ عنْ أصولِ التَّفسيرِ وغالبهُ كلامٌ فِي مسائلِ علومِ القرآنِ، وقليلٌ منهُ فِي أصولِ التَّفسيرِ، وقدْ شُرِحَتْ هذهِ الرِّسالةُ تحتَ عنوانِ «العونُ الكبيرُ شرحُ الفوزِ الكبيرِ».

3) «التَّكميلُ فِي أصولِ التَّأويلِ»، لعبدِ الحميدِ الفراهِي رحمهُ اللهُ تعالَى (ت 1349 هـ)

وهوَ مؤلَّفٌ وجيزٌ غيرُ مكتملٍ، وفيهِ فوائدُ واجتهاداتٌ قيِّمةٌ للفراهِي، ويصلحُ للمتخصِّصينَ، لكنَّ طبعتهُ نادرةٌ ولَا تكادُ توجدُ فِي المكتباتِ.

وقدْ ذكرَ فيهِ صاحبهُ أصولًا راسخةً لتأويلِ القرآنِ إلَى صحيحِ معناهُ، منهَا: "موضوعهُ: الكلمةُ والكلامُ منْ حيثُ دلالتهِ علَى المعنَى المرادِ، وغايتهُ: فهمُ الكلامِ وتأويلهِ إلَى المعنَى المرادِ المخصوصِ، بحيثُ أنْ ينجلِي عنهُ الاحتمالاتُ، وهذَا منْ جهةِ العمومِ، فإنَّ قواعدَ التَّأويلِ تجرِي فِي كلِّ كلامٍ، ونفعهَا عامٌ وهوَ متعلِّقٌ بفهمِ معنَى الكلامِ منْ أيِّ لسانٍ كانَ، ولكنَّ النَّفعَ الأعظمَ منهُ فهمُ كتابِ اللهِ تعالَى ومعرفةُ محاسنهِ للاعتصامُ بهِ".

4) رسالة «أصولٌ فِي التَّفسيرِ»، للشَّيخِ العلَّامةِ محمَّدٍ بنِ عثيمينَ رحمهُ اللهُ تعالَى (ت 1421 هـ)

وهيَ رسالةٌ وجيزةٌ جمعَ فيهَا الشَّيخُ بعضَ قواعدِ أصولِ التَّفسيرِ وبعضَ أنواعِ علومِ القرآنِ، وهيَ مقرَّرةٌ فِي بعضِ المعاهدِ، وتدرَّسُ فِي بعضِ الدَّوراتِ العلميَّةِ، وقدْ شرحهَا الكثير.

5) «تفسيرُ القرآنِ أصولهُ وضوابطهُ»، للدُّكتورِ عليِّ بنِ سليمانَ العبيدِ[1].

وقدْ تناولَ فيهِ مؤلِّفهُ أهمَّ مسائلِ أصولِ التَّفسيرِ باختصارٍ، وهوَ كتابٌ جيِّدٌ فِي الموضوعِ، اشتملَ علَى خمسةِ فصولٍ هيَ:

أ) مدخلٌ فِي معنَى التَّفسيرِ وأصولهِ.

ب) مصادرُ التَّفسيرِ، وذكرَ منهَا تفسيرَ القرآنِ بالقرآنِ، وتفسيرَ القرآنِ بالسُّنَّةِ، وتفسيرَ القرآنِ بأقوالِ الصَّحابةِ، وتفسيرَ القرآنِ بأقوالِ التَّابعينَ، وتفسيرَ القرآنِ باللُّغةِ العربيَّةِ.

ج) ضوابطُ التَّفسيرِ، وذكرَ تحتهُ موضوعاتٍ مثلَ: معرفةِ موضوعِ القرآنِ وهدفِهِ، ودراسةِ القرآنِ قبلَ البدءِ فِي تفسيرِهِ، والإلمامِ بعاداتِ العربِ فِي الجاهليَّةِ، وأهميَّتِ التَّفسيرِ، ومعرفةِ عرفِ القرآنِ والمعهودِ منْ معانيهِ، ومراعاةِ دلالاتِ الألفاظِ ولوازمِهَا، ومراعاةِ معرفةِ معانِي الأفعالِ منْ خلالِ مَا تتعدَّى بهِ، ومعرفةِ سياقِ الآيةِ والآياتِ التِي قبلهَا وبعدهَا، والنَّظرِ فِي مجموعِ الآياتِ ذاتِ الموضوعِ الواحدِ قبلَ البدءِ فِي تفسيرِهَا وغيرِ ذلكَ منَ الضوابطِ المهمّةِ.

د) قواعدُ التَّفسيرِ، وذكرَ فيهَا إحدَى وعشرينَ قاعدةً.

ه) شروطُ المفسِّرِ وآدابِهِ، وذكرَ تحتهَا معظمهَا.

وخلاصةً الكتابُ لطيفُ الحجمِ حيثُ يقعُ فِي (182) صفحةٍ، وقد تمَّ نشرهُ عام (1418هـ)، الطَّبعةُ الثَّانيةُ عام (1430هـ).

---

(1) أستاذ بقسم القرآن وعولومه بكليَّةِ أصولِ الدِّينِ – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة.

****


الفصل الرابع
أشهرُ المفسِّرينَ وكتبهم

أشهرُ المفسِّرينَ وكتبهم

وأحسنُ منْ كتبَ فِي علمِ التَّفسيرِ علَى هذَا النَّحوِ، حيثُ جمعَ فيهَا أصحابهَا مَا رُوِيَ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ والصَّحابةِ والتَّابعينَ ومَا اجتهدُوا فيهِ بأنفسهمْ، همْ:

1) الإمامُ محمَّدٌ بنُ جريرٍ الطَّبريِّ (رحمه الله تعالى):

وهوَ محمَّدٌ بنُ جريرٍ بنُ يزيدٍ بنُ كثيرٍ بنُ غالبٍ، الشَّهيرُ بالإمامِ أبِي جعفرَ الطبريِّ، (224 هـ – 310 هـ)، وهوَ مفسِّرٌ ومؤرِّخٌ وفقيهٌ، ولُقِّبَ بإمامِ المفسِّرينَ، ولدَ بآمُلَ، عاصمةُ إقليمِ طبرستانَ، وارتحلَ إلَى الرَّي وبغدادَ والكوفةَ والبصرةَ، وذهبَ إلَى مصرَ فسارَ إلَى الفسطاطِ فِي سنةِ (253 هـ) وأخذَ علَى علمائهَا علومَ مالكٍ والشَّافعِي وابنِ وهبٍ، ورجعَ واستوطنَ بغدادَ[1].

قالَ الخطيبُ البغداديُّ: "كانَ حافظًا لكتابِ اللهِ، عارفًا بالقراءاتِ، بصيرًا بالمعانِي، فقيهًا فِي أحكامِ القرآنِ، عالمًا بالسُّننِ وطرقهَا، وصحيحهَا وسقيمهَا، وناسخهَا ومنسوخهَا، عارفًا بأقوالِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ، ومنْ بعدهمْ منَ المخالفين فِي الأحكامِ، ومسائلِ الحلالِ والحرامِ، عارفًا بأيَّامِ النَّاسِ وأخبارهمْ"[2]، عُرِضَ عليهِ القضاءُ فامتنعَ، والمظالمُ فأبَى[3].

---

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ج 6، ص 2448.

(2) تاريخ بغداد وذيوله، للخطيب البغدادي، طبعة المكتبة العلمية، ج 2، ص 161.

(3) تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

ولهُ العديدُ منَ التَّصانيفِ:

يقولُ ياقوتُ الحمويُّ:"وجدنَا فِي ميراثهِ منْ كتبهِ أكثرَ منْ ثمانينَ جزءًا بخطِّهِ الدَّقيقِ"[1]، ومنهَا: اختلافُ علماءِ الأمصارِ، وهوَ أوَّلُ كتابٍ ألَّفهُ، وكانَ يقولُ رحمهُ اللهُ تعالَى: لِي كتابانِ لَا يستغنِي عنهمَا فقيهٌ: الاختلافُ واللَّطيفُ"[2]، وألَّفَ رحمهُ اللهُ تعالَى "جامعَ البيانِ فِي تأويلِ القرآنِ"، المعروفِ بِـ "تفسيرِ الطَّبرِيِّ" وتاريخِ الأممِ والملوكِ، المعروفِ بتاريخِ الطَّبرِيِّ وتهذيبِ الآثارِ، وذيلِ المذيلِ، ولطيفِ القولِ فِي أحكامِ شرائعِ الإسلامِ، وبسيطِ القولِ فِي أحكامِ شرائعِ الإسلامِ، وكتابِ القراءاتِ[3]، وصريحِ السَّنَّةِ، والتَّبصيرِ فِي معالمِ الدِّينِ، وتوفِّيَّ فِي شهرِ شوَّالَ سنَةَ (310 هـ)، ودفن ببغدادَ[4][5].

---

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ج 6، صـ 2460.

(2) ياقوت الحموي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ج 6، صـ 2458.

(3) تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، الطبقة العاشرة، ترجمة محمد بن جرير الطبري.

(4) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، الطبقة السابعة عشر، محمد بن جرير، ج 14، صـ 267: 282.

(5) الأعلام – خير الدين الزركلي – ج 6 – الصفحة 69.

2) إسماعيلُ بنُ عمرَ بنِ كثيرٍ (رحمه الله تعالى):

وهوَ عمادُ الدِّينِ أبُو الفداءِ إسماعيلُ بنُ عمرَ بنِ كثيرٍ بنِ ضَوْ بنِ درعٍ[1] القرشِيِّ الحَصْلِيِّ، البصروِيِّ، الشَّافعِيِّ[2]، ثمَّ الدِّمشقِيِّ، مُحدِّثٌ ومفسِّرٌ وفقيهٌ[3]، ولدَ بمجدلَ منْ أعمالِ بصرَى منْ منطقةِ سهلِ حورانَ (درعَا حاليًّا) فِي جنوبِ دمشقَ سنةَ (701 هـ)، و ماتَ أبُوه سنةَ (703 هـ)،[4] ثمَّ انتقلَ إلَى دمشقَ معَ أخيهِ كمالُ الدِّينِ سنةَ (707 هـ) بعدَ موتِ أبيهِ، وحفظَ القرآنَ الكريمَ وختمَ حفظهُ فِي سنةِ (711 هـ)، وقرأَ القراءاتِ وجمعَ التَّفسيرَ، وحفظَ متنَ "التَّنبيهِ" فِي فقهِ الشَّافعِيِّ سنةَ (718 هـ)، وحفظَ مختصرَ ابنِ الحاجبِ، وتفقَّهَ علَى الشَّيخينِ: برهانُ الدِّينِ الفزارِي، وكمالُ الدِّينِ بن قاضِي شهبةَ[5]، وسمعَ الحديثَ منْ ابنِ الشَّحنةَ، وابنِ الزَّرادِ، وإسحاقَ الآمدِي، وابنِ عساكرَ، والمزِّي، وابنِ الرِّضَى، وشرعَ فِي شرحِ صحيحِ البُّخارِي ولازمَ المزِّي، وقرأَ عليهِ تهذيبَ الكمالِ، وصاهرهُ علَى ابنتهِ، وصاحبَ ابنَ تيميةَ[6][أ]، ووُلِّيَ العديدَ منَ المدارسِ العلميَّةِ فِي ذلكَ العصرِ، منهَا: دارُ الحديثِ الأشرفيَّةِ، والمدرسةُ الصَّالحيَّةِ، والمدرسةُ النَّجيبيَّةِ، والمدرسةُ التَّنكزيَّةِ، والمدرسةُ النُّوريَّةِ الكبرَى[7].

تُوفِّيَ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي شعبانَ سنةَ (774 هـ)، وَكَانَ قدْ أضرَّ فِي أَوَاخِرِ عمرهِ[8]، ودفنَ بجوارِ ابنِ تيميَّةَ فِي مقبرةِ الصوفيَّةِ خارجَ بابِ النَّصرِ منْ دمشقَ[9].

ولهُ عدَّةُ تصنيفاتٍ أشهرهَا:

"تفسيرُ القرآنِ العظيمِ"، والبدايةُ والنِّهايةُ، وطبقاتُ الشَّافعيَّةِ، والباعثُ الحثيثُ شرحِ اختصارِ علومِ الحديثِ، والسِّيرةُ النَّبويَّةُ، ولهُ رسالةٌ فِي الجهادِ، وشرعَ فِي كتابٍ كبيرٍ للأحكامِ ولمْ يكملهُ، ولهُ شرحُ صحيحِ البخاريِّ وهوَ مفقودٌ.[10-11]

---

(1) طبقات المفسرين للدودي (1/11) وإنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر (1/45). والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة؛ لابن حجر (1/399).

(2) البداية والنهاية لابن كثير، الجزء الأول – الصفحة 16 الطبعة الثانية لدار بن كثير".

(3) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (1/ 67)، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (414/2)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (1/ 445)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص: 534)، والأعلام للزركلي (320/1)

(**4**) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (**1/445-446**)

(**5**) معجم المحدثين (**1/56**)

(**6**) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (**1/445-446**)

(أ) جاء في تذكرة الحفاظ: "وصحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وكانت له به خصوصية، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتحن بسبب ذلك وأوذي".

(**7**) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (**1/ 67**)، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (**2/414**)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (**1/ 445**)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص: **534**)، والأعلام للزركلي (**1/320**)

(**8**) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (**1/445-446**)

(**9**) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (**1/ 68**)

(**10**) ترجمة ابن كثير في مقدمة تحقيق كتاب "البداية والنهاية" بإشراف د. عبد الله التركي (**1/13-33**)

(**11**) د. محمد الزحيلي: ابن كثير الدمشقي ص:**150- 152**.

3) الحسينُ بنُ مسعودٍ البغويُّ (رحمه الله تعالى):

وهوَ أبُو محمَّدٍ الحُسينُ بنُ مسعودٍ بنِ محمَّدٍ الفرَّاءُ البغوِيُّ، ويلقَّبُ أيضًا بركنِ الدِّينِ ومحيِي السُّنَّةِ، أحدُ العلماءِ الذينَ خدمُوا القرآنَ والسُّنةَ النَّبويَّةَ، دراسةً وتدريسًا، وتأليفًا[1]. والفرَّاءُ: نسبةً إلَى عملِ الفرَاءِ وبيعهَا.

والبغوِيُّ: نسبةً إلَى بلدةٍ يقالُ لهَا: (بغ) وبَغْشورَ، وهيَ بلدةٌ بخراسانَ بينَ مرو الروذَ وهراةَ[2].

وولدَ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي بغشورٍ وإليهَا نسبتهُ وهذهِ البلدةُ، أنجبتْ كثيرًا منَ المحدِّثينَ والفقهاءِ وأهلِ العلمِ.

ومعظمُ المصادرِ التِي ترجمتْ لهُ رحمهُ الله تعالَى لمْ تشرْ إلَى السَّنةِ التِي ولدَ فيهَا، غيرَ أنَّ ياقوتَ الحموِي قالَ فِي معجمِ البلدانِ: إنَّهُ ولدَ سنةَ (433 هـ)[3] أمَّا الزَّركلِي فأشارَ فِي الأعلامِ إلَى أنَّهُ ولدَ سنةَ (436 هـ)[4].

وجميعُ منْ ترجمَ لهُ أرَّخُوا أنَّهُ توفِّيَ سنةَ (516 هـ) سوَى ابنِ خلكانَ فأرَّخَ وفاتهُ سنةَ (510 هـ)[5]، وقدْ وافقَ تقديرُ ابنُ خلكانَ فِي وفاةِ الإمامِ البغوِي تقديرَ الإمامِ الذَّهبِي، وقالُوا إنَّهُ قدْ بلغَ الثَّمانينَ أوْ تجاوزهَا، فيغلبُ الظَّنُّ أنَّهُ وُلدَ فِي أوائلِ العقدِ الرَّابعِ منَ القرنِ الخامسِ الهجرِي.

---

(1) فضائل النبى وشمائله من كتاب شرح السنة (ترجمة المؤلف).

(2) مجلة البيان . العدد [5].

(3) معجم البلدان – لياقوت الحموي.

(4) الأعلام – لخير الدين الزركلي.

(5) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان – لشمس الدين بن خلكان.

قالَ الإمامُ الذَّهبِيُّ فِي ترجمتهِ: (الشَّيخُ الإمامُ، العلَّامةُ القدوةُ الحافظُ شيخُ الإسلامِ، مُحيِي السُّنةِ أبُو محمَّدٍ الحُسينُ بنُ مسعودٍ بنِ محمَّدٍ بنِ الفرَّاءِ البغويُّ الشَّافعِيُّ المفسِّرُ صاحبُ التَّصانيفِ (كشرحِ السَّنَّةِ) و(معالمِ التَّنزيلِ) و(الجمعُ بينَ الصَّحيحينِ) وأشياءُ، وكانَ البغوِيُّ يُلقَّبُ بمحيِي السُّنَّةِ وبركنِ الدِّينْ، وكانَ سيِّدًا إمامًا عالمًا علَّامةً زاهدًا، ولهُ القدمُ الرَّاسخُ فِي التَّفسيرِ والباعِ المديدِ فِي الفقهِ)[1].

ومنْ مؤَلَّفاتهِ:

شرحُ السُّنَّةِ، ومجموعةُ الفتاوَى، والتَّهذيبُ فِي فقهِ الإمامِ الشَّافعِي، و"معالمُ التَّنزيلِ"، ومصابيحُ السُّنَّةِ، والأنوارُ فِي شمائلِ المختارِ، والجامعُ بينَ الصَّحيحينِ، والأربعونَ حديثًا.

قالَ الذَّهبِي: وتوفِّي بمرو الروذَ وهيَ مدينةٌ منْ مدائنِ خراسانَ فِي شوَّالَ، سنةَ ستَّ عشرةَ وخمسمائةٍ، ودفنَ بجنبِ شيخهِ القاضِي حسينٌ، وعاشَ بضعًا وسبعينَ سنةً[2].

---

(1) سير أعلام النبلاء – للذهبي [439/19].

(2) سير أعلام النبلاء (ص: 442).

4) ابنُ أبِي حاتمٍ (رحمه الله تعالى):

وهوَ أبُو محمَّدٍ عبدُ الرَّحمنِ بنِ أبِي حاتمٍ محمَّدُ بنُ إدريسَ الرَّازِي[1]: وُلدَ ابنُ أبِي حاتمٍ سنةَ أربعينَ ومائتينِ (240 هـ) ونشأَ بينَ أهلِ العلمِ والرِّواياتِ، وتربَّى بالمذاكرةِ معَ أبيهِ وأبِي زُرْعَةَ الحافظَيْنِ الكبيرَيْنِ، وكانَا يعتنياتِ بهِ، فاجتمعَ لهُ معَ علوِّ همَّتهِ كثرةُ عنايتهمَا بهِ.

قالَ عليُّ بنُ أحمدَ الخوارزمِيِّ: "عبدُ الرَّحمنِ بنِ أبِي حاتمٍ إمامٌ ابنُ إمامٍ، قدْ رُبِّي بينَ إمامَيْنِ: أبِي حاتمٍ، وأبِي زُرْعةَ؛ إمامَيْ هُدًى"[2]، وقالَ عنْ نفسهِ: "لمْ يدعنِي أبِي أشتغلُ بالحديثِ حتَّى قرأتُ القرآنَ عنِ الفضلِ بنِ شاذانَ، ثمَّ كتبتُ الحديثَ"[3].

ومنْ مؤلَّفاتهِ:

قالَ الخليلِي: "لهُ منَ التَّصانيفِ مَا هوَ أشهرُ منْ أنْ يُوصفَ فِي الفقهِ والتَّواريخِ واختلافِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ وعلماءِ الأمصارِ"[4].

وقالَ الرَّافعِي: "وجمعَ وصنَّفَ الكثيرَ حتَّى وقعَتْ ترجمةُ مصنَّفاتهِ الكبارِ والصِّغارِ فِي أوراقٍ"[5].

ولقدْ كانَ الإمامُ ابنُ أبِي حاتمٍ رحمهُ اللهُ تعالَى مُسَدَّدًا فِي التَّصنيفِ، ورُزِقَ فِي مصنَّفاتهِ القبولَ، وعمَّ النَّفعُ بهَا، فكتابهُ "تفسيرُ القرآنِ العظيمِ" أصلٌ لَا يُستغنَى عنهُ فِي التَّفسيرِ بالمأثورِ.

وكتابهُ "تقدمةُ الجرحِ والتَّعديلِ" أصلٌ لَا يُستغنَى عنهُ فِي معرفةِ كبارِ الحُفَّاظِ الأوائلِ، منْ سِيَرهمْ وأخبارهمْ وفضلهمْ.

---

(1) مصادر ترجمته كثيرةٌ، منها: «الإرشاد» للخليلي (2/683)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (35/357– 366)، و«التدوين في أخبار قزوين» للرافعي (3/153–155)، و«سير أعلام النبلاء» (13/263–269)، و«تاريخ الإسلام»

(2) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (35/361).

(3) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (35/360).

(4) «الإرشاد» (2/683).

(5) «التَّدوين» (3/155).

وكتابةُ "الجرحُ والتَّعديلُ" أصلٌ لَا يُستغنَى عنهُ فِي معرفةِ الرِّجالِ.

قالَ ابنُ عساكرَ: "صنَّفَ كتابَ (الجرحِ والتَّعديلِ) فأكثرَ فائدتهُ"[1].

وقالَ عنهُ الذَّهبِيُّ: "كتابٌ نفيسٌ"[2].

وقالَ: يدلُّ علَى سعةِ حفظِ الرَّجُلِ وإمامتهِ"[3].

وقالَ ابنُ كثيرٍ: وهوَ منْ أَجَلِّ الكتبِ المصنَّفةِ فِي هذَا الشَّأنِ[4].

وكتابُ "عللِ الحديثِ"، وكتابُ "المراسيلَ"، وكتابُ "آدابِ الشَّافعِيِّ ومناقبهِ"، وهوَ كثيرُ الفوائدِ معَ صغرِ حجمهِ[5].

وتُوفِّيَ رحمهُ اللهُ تعالَى سنةَ سبعٍ وعشرينَ وثلاثمائةَ (327 هـ) [6].

---

(1) «تاريخ دمشق» (35/357)

(2) «سير أعلام النبلاء» (13/264).

(3) «تاريخ الإسلام» (7/534).

(4) موقع طريق الإسلام – مركز تفسير للدراسات القرآنية – حسين عكاشة.

(5) السابق.

(6) طبقات الحنابلة (3/105).

فائدةٌ:

ابنُ أبِي حاتمٍ الرَّازي الذِي سبقَ ذكرهُ، ليسَ هوَ نفسهُ فخرُ الدِّينِ الرَّازِي، فابنُ أبِي حاتمٍ إمامٌ منْ أئمَّةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وأمَّا فخرُ الدِّينِ الرَّازي فقدْ كانَ أشعريًّا متكلِّمًا قالَ عنهُ الذَّهبِي: "العلَّامةُ الكبيرُ ذُو الفنونِ فخرُ الدِّينِ محمَّدٌ بنُ عمرَ بنِ الحسينِ القرشِيِّ البكرِيِّ الطبرستانِي الأصولِي المفسِّر، كبيرُ الأذكياءِ والحكماءِ والمصنِّفينَ، ولدَ سنةَ أربعٍ وأربعينَ وخمسَ مئةٍ، واشتغلَ علَى أبيهِ الإمامِ ضياءِ الدِّينِ خطيبُ الرَّي، وانتشرتْ تواليفهُ فِي البلادِ شرقًا وغربًا، وكانَ يتوقَّدُ ذكاءً، وقدْ سقتُ ترجمتهُ علَى الوجهِ فِي تاريخِ الإسلامِ.

وقدْ بدتْ منهُ فِي تواليفهِ بلايَا وعظائمُ، وسحرٌ وانحرافاتٌ عنِ السُّنَّةِ، واللهُ يعفُو عنهُ، فإنَّهُ تُوفِّي علَى طريقةٍ حميدةٍ، واللهُ يتولَّى السرائرَ، ماتَ بهراةَ يومَ عيدِ الفطرِ سنةَ ستٍّ وستِّ مئةٍ، ولهُ بضعٌ وستُّونَ سنةً.

وقدِ اعترفَ فِي آخرِ عمرهِ حيثُ يقولُ: " لقدْ تأمَّلتُ الطُّرقَ الكلاميَّةَ، والمناهجَ الفلسفيَّةِ، فمَا رأيتهَا تشفِي عليلًا، ولَا تروِي غليلًا، ورأيتُ أقربَ الطُّرقِ طريقةَ القرآنِ؛ أقرأُ فِي الإثباتِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ﴾، وأقرأُ فِي النَّفي : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ ومنْ جرَّبَ مثلَ تجربتِي، عرفَ مثلَ معرفتِي"[1]. (رحمَ اللهُ فخرَ الدِّينِ الرَّازي رحمةً واسعةً، فقدْ بيَّنَ وأوضحَ قبلَ أن يموتَ، وماتَ علَى النَّهجِ السَّليمِ القويمِ، فرحمهُ اللهُ تعالَى بمَا بيَّنَ وأوضحَ).

---

(1) سير أعلام النبلاء (500/21).

5) محمَّدُ بنُ أحمدَ القرطبِي (رحمه الله تعالى):

هوَ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ أبِي بكرٍ بنِ فَرْحٍ، وكنيتهُ: أبُو عبدِ اللهِ، ولدَ بقرطبةَ بـ (الأندلسِ) أوائلَ القرنِ السَّابعِ الهجرِيِّ (مَا بينَ 600 – 610هـ)[1] حيثُ تعلَّمَ القرآنَ، وقواعدَ اللُّغةِ العربيَّةِ، وتوسَّعَ بدراسةِ الفقهِ والقراءاتِ والبلاغةِ وعلومِ القرآنِ وغيرهَا، كمَا تعلَّمَ الشِّعرَ أيضًا، وانتقلَ إلَى مصرَ واستقرَّ بمنيةَ بنِي خصيبٍ (المنيَا) حتَّى وافتهُ المنيَّةُ فِي (9 شوَّالٍ 671 هـ)، وهوَ يعتبرُ منْ كبارِ المفسِّرينَ، وكانَ فقيهًا ومحدِّثًا، ورعًا وزاهدًا متعبِّدًا[2].

ومنْ مؤلَّفاتِ الإمامِ القرطبِيِّ:

ذكرَ المؤرِّخونَ للقرطبِيِّ رحمهُ اللهُ تعالَى عدَّةَ مؤلَّفاتٍ غيرَ تفسيرهِ العظيمِ المسمَّى بـ (الجامعِ لأحكامِ القرآنِ)[3].

ومنْ هذهِ المؤلَّفاتِ: التَّذكرةُ فِي أحوالِ الموتَى وأمورِ الآخرةِ، وهوَ مطبوعٌ متداولٌ[4]، التِّذكارُ فِي أفضلِ الأذكارِ، وهوَ أيضًا مطبوعٌ متداولٌ[5]، الأسنَى فِي شرحِ أسماءِ اللهِ الحسنَى وصفاتهِ العليَا[6]، الإعلامُ بمَا فِي دينِ النَّصارَى منَ المفاسدِ والأوهامِ وإظهارِ محاسنِ دينِ الإسلامِ[7]، قمعُ الحرصِ بالزُّهدِ والقناعةِ وردِّ ذُلِّ السُّؤالِ بالكسبِ والصِّناعةِ[8].

---

(1) الداودي: طبقات المفسرين 65/2، 66 – والسيوطي: طبقات المفسرين ص79 – الصفدي: الوافي بالوفيات 122/2، 123.

(2) كتاب عظماء الإسلام – محمد سعيد مرسي.

(3) ابن رشيد الفهري: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة 425/3.

(4) السابق.

(5) مشهور حسن محمود سلمان: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير ص98.

(6) السابق.

(7) السابق نفسه ص135.

(8) رحمة الله الكيرانوي: إظهار الحق 395/2– 397. والبغدادي: هدية العارفين 56/2– 326.

وقدْ أشارَ القرطبِيُّ فِي تفسيرهِ إلَى مؤلفَّاتٍ لهُ، منهَا: المقتبسُ فِي شرحِ موطأِ مالكٍ بنِ أنسٍ[1]، واللُّمعُ اللُّؤلؤيَّةُ فِي شرحِ العشريناتِ النَّبويَّةِ[2]، وغيرهَا منَ التَّصانيفِ.

---

(1) رحمة الله الكيرانوي: إظهار الحق 395/2– 397. والبغدادي: هدية العارفين 56/2– 326.

(2) السابق 173/1.

6) جلالُ الدِّينِ بنُ أبِي بكرٍ السُّيوطِي (رحمه الله تعالى):

وهوَ عبدُ الرَّحمنِ بنِ أبِي بكرِ بنِ محمَّدٍ، جلالُ الدِّينِ أبُو الفضلِ ابنِ العلَّامةِ كمالُ الدِّينِ السُّيوطِي، الشَّافعِي[1]، وُلدَ مستهلَّ رجبٍ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وثمانمائةَ (849 ه)[2]، طلبَ العلمَ وهوَ صغيرٌ؛ حيثُ لازمَ أعيانَ عصرهِ منَ العلماءِ، ككمالِ الدِّينِ ابنِ الهمامِ، والعلمِ البلقينِي، والشَّرفِ المناوِي، والعزِّ الحنبلِي، فأخذَ عنهمْ وعنْ غيرهمْ الحديثَ والفقهَ والعربيَّةَ وسائرَ العلومِ[3].

ولمَّا بلغَ أربعينَ سنةً منَ عمرهِ أخذَ فِي التَّجرُّدِ للعبادةِ والانقطاعِ إلَى اللهِ تعالَى، والاشتغالِ بهِ صرفًا، والإعراضِ عنِ الدُّنيَا وأهلهَا كأنَّهُ لمْ يعرفْ أحدًا منهمْ، وشرعَ فِي تحريرِ مؤلَّفاتهِ، وتركَ الإفتاءَ والتَّدريسَ، واعتذرَ عنْ ذلكَ فِي مؤلَّفٍ ألَّفهُ فِي ذلكَ وسمَّاهُ "بالتَّنفيسِ"، وأقامَ فِي روضةِ المقياسِ فلمْ يتحوَّلْ منهَا إلَى أنْ ماتَ، وكانتْ وفاتهُ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي سحرِ ليلةِ الجمعةِ تاسعِ عشرَ جمادَى الأولَى سنةَ إحدَى عشرةَ وتسعمائةَ (911 ه) فِي منزلهِ بروضةِ المقياسِ، بعدَ أنْ تمرَّضَ سبعةَ أيَّامٍ بورمٍ شديدٍ فِي ذراعهِ الأيسرِ، وقدْ استكملَ منَ العمرِ إحدَى وستينَ سنةً، ودفنَ فِي حوشِ قوصونَ خارجَ بابِ القرافةِ، وصُلِّيَ عليهِ غائبةً بدمشقَ بالجامعِ الأمويِّ يومَ الجمعةِ ثامنِ رجبٍ سنةَ إحدَى عشرةَ المذكورةَ[4].

---

(1) السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (1/472).

(2) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (1/335)،)، الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (337) الحنبلي، محمد ابن العماد العكري، أبوالفلاح، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (7/51)، والكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة للغزي.

(3) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن –حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (1/336). وابن إياس كتاب "تاريخ مصر".

(4) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (1/336).

من مؤلفاته:

قدْ ألَّفَ جلالُ الدِّينِ السُّيوطِي عددًا كبيرًا منَ الكتبِ والرَّسائلِ، إذْ يذكرُ ابنُ إيَّاسٍ فِي "تاريخِ مصرَ" أنَّ مصنَّفاتِ السُّيوطِي بلغتْ ستِّ مائةٍ مصنَّفٍ، وقدْ ألَّفَ فِي طيفٍ واسعٍ منَ المواضيعِ تشملُ التَّفسيرَ والفقهَ والحديثَ والأصولَ والنَّحوَ والبلاغةَ والتَّاريخَ والأدبَ وغيرهَا، ومنْ هذهِ المصنَّفاتِ:

الدُّرُّ المنثورُ فِي التَّفسيرِ بالمأثورِ، والدُّررُ المنتثرةُ فِي الأحاديثِ المشتهرةِ، والديباجُ علَى صحيحِ مسلمٍ بنِ الحجَّاجِ،

والرَّوضُّ الأنيقُ فِي فضلِ الصدِّيق، والعرفُ الوردِيُّ فِي أخبارِ المهدِيِّ، والغررُ فِي فضائلِ عمرَ، وألفيةُ الحديثِ،

والكاوِي علَى تاريخِ السَّخاوِي، واللآلئُ المصنوعةُ فِي الأحاديثِ الموضوعةِ، والمَدْرَجُ إلَى المُدْرَجِ، المزهرُ فِي علومِ اللُّغةِ وأنواعهَا، و المهذَّبُ فيمَا وقعَ فِي القرآنِ منَ المعربِ، والإتقانُ فِي علومِ القرآنِ، وإسعافُ المبطأِ برجالِ الموطَّأِ، والجامعُ الصَّغيرُ منْ حديثِ البشيرِ النَّذيرِ، والأشباهُ والنَّظائرُ[1][2].

---

(1) انظر: كتاب السيوطي النحوي، د/ السلمان ص 11.

(2) انظر، مؤرخو مصر الإسلامية ص 145– الغزي، نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (231/1).– الحنفى القاهرى، ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور (63/3)، (79/4).

*كتاب الثغور الباسمة نسخة محفوظة 13 سبتمبر 2016 على موقع واي باك مشين.

7) محمَّدٌ بنُ عليٍّ الشَّوكانِي (رحمه الله تعالى):

هوَ محمَّدٌ بنُ عليٍّ بنِ محمَّدٍ الشَّوكانِي، الملقَّبِ ببدرِ الدِّينِ الشَّوكانِي، أحدُ أبرزِ علماءِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ وفقهائهَا، ومنْ كبارِ علماءِ اليمنِ، ولدَ فِي هجرةِ شوكانَ فِي اليمنِ سنةَ (1173 هـ)[1] ونشأَ بصنعاءَ، وتلقَّى العلمَ علَى شيوخهَا، واشتغلَ بالقضاءِ والإفتاءِ سنةَ (1229 هـ)[2]، وماتَ حاكمًا بهَا فِي سنةِ (1250 هـ)[3].

من مؤلَّفاتهِ رحمهُ الله تعالَى:

فتحُ القديرِ فِي التَّفسيرِ، ونيلُ الأوطارِ فِي الحديثِ، والبدرُ الطَّالعُ بمحاسنِ منْ بعدِ القرنِ التَّاسعِ، وإرشادُ الفحولُ إلَى تحقيقِ الحقِّ منْ علمِ الأصولِ، وإبطالُ دعوَى الإجماعِ علَى تحريمِ مطلقِ السَّماعِ، وشرحُ الصُّدورِ بتحريمِ رفعِ القبورِ، وإرشادُ الثِّقاتِ إلَى إتِّفاقِ الشَّرائعِ علَى التَّوحيدِ والمعادِ والنبوَّاتِ، وتحفةُ الذَّاكرينَ بعدَّةِ الحصنِ الحصينِ منْ كلامِ سيِّدِ المرسلينَ، ورفعُ الباسِ عنْ حديثِ النَّفسِ والهمِّ والوسواسِ، والبدرُ الطَّالعُ بمحاسنِ منْ بعدِ القرنِ السَّابعِ، والسيلُ الجرَّارُ المتدفِّق علَى حدائقِ الأزهارِ، والأدلَّةُ الرَّضيَّةُ لمتنِ الدُّررِ البهيَّةِ فِي المسائلِ الفقهيَّةِ، وإرشادُ الغبِي إلَى مذهبِ أهلِ البيتِ فِي صحبِ النَّبِي ﷺ، وبلوغُ المنَى فِي حكمِ الاستمناءِ، والدَّرارِي المضيَّةِ شرحُ الدُّررِ البهيَّةِ، والقولُ الجليُّ فِي حكمِ لبسِ النِّساءِ للحلِيِّ.

(1) موقع الشوكاني: ترجمة حياة الإمام القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني.

(2) المكتبة الشاملة: الشوكاني نسخة محفوظة 15 يوليو 2017 على موقع واي باك مشين.

(3) ترجمة الشوكاني – الموسوعة الإسلامية.

8) محمَّدٌ بنُ ناصرٍ السَّعدِي (رحمه الله تعالى):

وهوَ أبُو عبدِ اللهِ عبدُ الرَّحمنِ بنُ ناصرٍ بنِ عبدِ اللهِ بنِ ناصرٍ السَّعدِي التَّميمِي[1][2]، ويعرفُ اختصارًا بابنِ سعدِي، ولدَ فِي بلدةِ عنيزةَ فِي القصيمِ فِي ثنتَيْ عشرَ يومًا مرَّتْ منْ محرَّمٍ عامَ ألفٍ وثلاثمائةَ وسبعٍ منَ الهجرةِ النَّبويَّةِ، وتوفِّيتْ أمُّهُ ولهُ منَ العمرِ أربعُ سنواتٍ، وتوفِّي والدهُ وهوَ فِي السَّابعةِ، فتربَّى يتيمًا ولكنَّهُ نشأَ نشأةً حسنةً، وكانَ قدْ استرعَى الأنظارَ منذُ حداثةِ سنِّهِ بذكائهِ ورغبتِهِ الشَّديدةِ فِي التعلُّمِ، وهوَ مصنِّفٌ وكاتبٌ، وأشهرُ كتبهِ كتابُ "تيسيرِ الكريمِ الرَّحمنِ فِي تفسيرِ كلامِ المنَّانِ"[3].

منْ مؤلَّفاتهِ رحمهُ اللهُ تعالَى:

صنَّفَ السَّعدِيُّ كتبًا كثيرةً أهمُّها تفسيرهُ للقرآنِ الكريمِ المسمَّى بـ:"تيسيرِ الكريمِ الرَّحمنِ" فِي ثمانِي مجلَّداتٍ أكملهُ فِي عامِ (1344 هـ)، وقدْ نالَ هذَا التَّفسيرُ الكثيرَ منَ الاهتمامِ حيثُ طبعَ لهُ طبعاتٌ عديدةٌ.

ولهُ أيضًا حاشيةٌ علَى الفقهِ استدراكًا علَى جميعِ الكتبِ المستعملةِ فِي المذهبِ الحنبلِي ولمْ تطبعْ.

ولهُ أيضًا "إرشادُ أولِي البصائرِ والألبابِ لمعرفةِ الفقهِ بأقربِ الطُّرقِ وأيسرِ الأسبابِ"، ورتَّبهُ علَى شكلِ سؤالٍ جوابٍ، وطبعَ فِي دمشقَ عامَ (1365هـ)، علَى نفقتهِ الخاصةِ ووزَّعهُ مجَّانًا.

---

(1) "الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله".

(2) "الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي".

(3) "عبد الرحمن السعدي • الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة".

و"الدرَّةُ المختصرةُ فِي محاسنِ الإسلامِ"، وطبعَ عامَ (1366 هـ).

و"الخطبُ العصريَّةُ القيِّمةُ"، وكتبَ هذَا لمَا آلَ إليهِ أمرُ الخطابةِ فِي بلدهِ، فاجتهدَ أنْ يخطبَ فِي كلِّ عيدٍ وجمعةٍ بمَا يناسبُ الوقتَ فِي الموضوعاتِ الجليلةِ التِّي يحتاجُ النَّاسُ إليهَا، ثمَّ جمعهَا وطبعهَا معَ "الدرَّةِ المختصرةِ" علَى نفقتهِ ووزَّعهَا مجَّانًا.

و"القواعدُ الحسانُ المتعلقة بتفسير القرآنِ"، وطبعهُ عامَ (1366هـ) ووُزِّعَ مجَّانًا.

و"تنزيهُ الدِّينِ وحملتهِ ورجالهِ ممَّا افتراهُ القصيمِي فِي أغلالهِ"، وطبعَ عامَ (1366هـ).

و"الحقُّ الواضحُ المبينُ فِي شرحِ توحيدِ الأنبياءِ والمرسلينَ".

و"توضيحُ الكافيةِ الشافيةِ"، و"وجوبُ التَّعاونِ بينَ المسلمينَ"، و"موضوعُ الجهادِ الدِّينِي".

وهذهِ الثَّلاثةُ الأخيرةُ طبعتْ بالقاهرة علَى نفقتهِ ووزَّعهَا مجانًا.

و"القولُ السَّديدُ فِي مقاصدِ التَّوحيدِ"، طبعَ عامَ (1367هـ)[1].

و"مختصرٌ فِي أصولِ الفقهِ"، لمْ يطبعْ.

و"تيسيرُ اللَّطيفِ المنَّانِ فِي خلاصةِ تفسيرِ القرآنِ"، طبعَ علَى نفقةِ المؤلِّفِ وجماعةٍ منَ المحسنينَ، ووزِّعَ مجانًا.

و"الرِّياضُ النَّاضرةُ".

ونظمٌ فِي "القواعدِ الفقهيَّةِ" وهذا الأخيرُ نالَ قبولًا عندَ طلَّابِ العلمِ.

---

(1) الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية، وليد عبدالله المنيس، ط1، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، 1423هـ/2002م، ص14.

وفاتهُ:

وتوفِّي رحمهُ اللهُ تعالَى بعدَ مَا أُصيبَ عامَ(1371هـ)بمرضِ ضغطِ الدَّمِ وضيقِ الشَّرايينِ، عنْ عمرٍ ناهزَ (69 عامًا) فِي خدمةِ العلمِ، وادركتهُ الوفاةُ قربَ طلوعِ الفجرِ منْ يومِ الخميسِ الموافقِ 22 جمادَى الآخرةِ عامَ (1376هـ)[1]، فِي مدينةِ عنيزةَ فِي القصيمِ، رحمهُ اللهُ تعالَى[2].

---

(1) علماء نجد خلال ثلاثة قرون (250/3)

(2) حياة الشيخ عبدالرحمن السعدي في سطور، أحمد القرعاوي، ط2، 1414هـ، ص32.

*كتاب علماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ عبد الله بن عبدالرحمن البسام.

*كتاب روضة الناظرين عن علماء نجد وحوادث السنين، للشيخ محمد بن عثمان القاضي.

*كتاب تراجم لسبعة علماء، للشيخ محمد الحمد.

* موقع السعدي.

****


الفصل الخامس
أشهرُ كتبِ التفسيرِ

أشهرُ كتبِ التَّفسيرِ

وكلُّ واحدٍ منَ الأئمَّةِ السَّابقِ ذكرهمْ لهُ كتابُ تفسيرٍ للقرآنِ الكريمِ كمَا سبقَ وأشرنَا، ونكتفِي بأشهرِ كتبِ التَّفسيرِ لأشهرِ المفسِّرينَ السَّابقينَ:

1) جامعُ البيانِ فِي تأويلِ القرآنِ، لأبِي جعفرٍ محمَّدٍ بنِ جريرٍ الطَّبريِّ:

وهذَا التَّفسيرُ منْ أعظمِ التَّفاسيرِ بالمأثورِ وأجلِّهَا وأرفعهَا قدرًا، وقدْ ذكرَ فيهِ صاحبهُ مَا رُوِيَ فِي التَّفسيرِ عنِ النَّبيِّ ﷺ والصَّحابةِ والتَّابعينَ وأتباعهمْ رضيَ اللهُ عنهمْ[1].

سُئلَ شيخُ الإسلامِ ابنِ تيميةَ رحمهُ اللهُ تعالَى عنْ أيِّ التَّفاسيرِ أقربُ إلَى الكتابِ والسُّنةِ: الزَّمخشرِي، أمِ القرطبِي، أمِ البغوِي، أمْ غيرِ هؤلاءِ؟

فأجابَ تغمَّدهُ اللهُ برحمتهِ: الحمدُ للهِ، أمَّا التَّفاسيرُ التِي فِي أيدِي النَّاسِ فأصحُّهَا تفسيرُ محمَّدٍ بنِ جريرٍ الطَّبرِي، فإنَّهُ يذكرُ مقالاتِ السَّلفِ بالأسانيدِ الثَّابتةِ، وليسَ فيهِ بدعةٌ، ولَا ينقلُ عنِ المتَّهمينَ كمقاتلٍ بنِ بكيرٍ، والكلبِي[2].

---

(1) كتاب التَّفسير أكاديمية زاد للعلوم الشَّرعيَّة – محمد صالح المنجد. – مجموع الفتاوى صـ 385.

(2) مقدِّمة في أصول التَّفسير ص : 41.

منهجُ الطَّبريِّ فِي التَّفسيرِ:

كانَ منهجهُ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي استقصاءِ الوجوهِ المحتملةِ للآياتِ، يعتمدُ علَى التَّفسيرِ بالمأثورِ بالأساسِ، ثمَّ القراءاتِ، فاهتمَ بالقراءاتِ القرآنيَّةِ، وكانَ لهُ اعتناءٌ ببعضِ وجوهِ اللُّغةِ، فضلًا عنْ آرائهِ الفقهيَّةِ واجتهاداتهِ التِي أودعهَا فِي التَّفسيرِ، فمن منهجهِ فِي التفسير:

أ) اعتمدَ رحمهُ اللهُ تعالَى علَى التَّفسيرِ بالمأثورِ، وهوَ التَّفسيرُ بالأحاديثِ الثَّابتةِ عنِ النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ أقوالِ الصَّحابةِ ثمَّ التَّابعينَ فِي تفسيرِ معانِي الآياتِ؛ وقدْ كانَ يُنكرُ بشدَّةٍ علَى منْ يُفسِّرُ القرآنَ بمجرَّدِ الرَّأيِ وحسب، ولكنَّهُ يُرجِّحُ أوْ يصوِّبُ أوْ يوجِّهُ قولًا لدليلٍ معتبرٍ لديهِ، حيثُ قالَ: "أنَّ مَا كانَ منْ تأويلِ آيِ القرآنِ الذِي لَا يدركُ علمهُ إلَّا بنصِّ بيانِ رسولِ اللهِ ﷺ أوْ بنصبهِ الدَّلالةِ عليهِ؛ فغيرُ جائزٍ لأحدٍ القيلُ فيهِ برأيهِ، بلِ القائلُ فِي ذلكَ برأيهِ "وإنْ أصابَ الحقَّ فيهِ فمخطئٌ فيمَا كانَ منْ فعلهِ بقيلهِ فيهِ برأيهِ، لأنَّ إصابتهُ ليستْ إصابةَ موقنٍ أنَّهُ محقٌّ، وإنَّمَا هوَ إصابةُ خارصٍ وظانٍّ، والقائلُ فِي دينِ اللهِ بالظنِّ، قائلٌ علَى اللهِ مَا لمْ يعلمْ، وقدْ حرَّمَ اللهُ جلَّ ثناؤهُ ذلكَ فِي كتابهِ علَى عبادهِ، فقالَ تعالَى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}[سورة الأعراف: 33]، فالقائلُ فِي تأويلِ كتابِ اللهِ الذِي لَا يُدركُ علمهُ إلَّا ببيانِ رسولِ اللهِ ﷺ، الذِي جعلَ اللهُ إليهِ بيانهُ، قائلٌ بمَا لَا يعلمُ وإنْ وافقَ

قيلهُ ذلكَ فِي تأويلهِ مَا أرادَ اللهُ بهِ منْ معناهُ، لأنَّ القائلَ فيهِ بغيرِ علمٍ، قائلٌ علَى اللهِ مَا لَا علمَ لهُ بِه"[1].

ب) وكانَ رحمهُ اللهُ تعالَى يقفُ علَى الأسانيدِ، فيشتملُ تفسيرهُ علَى عددٍ كبيرٍ منَ الأحاديثِ والآثارِ المسندةِ، منهَا الصَّحيحُ والضعيفُ، وقدْ أشارَ جلالُ الدِّينِ السُّيوطِي فِي كتابهِ الإتقانُ فِي علومِ القرآنِ إلَى مواضعِ الأحاديثِ والآثارِ الضَّعيفةِ فِي التَّفسيرِ[2].

ج) يقدِّرُ رحمهُ اللهُ تعالَى الإجماعَ، ويعطيهِ اعتبارًا كبيرًا فِي اختيارِ مَا يذهبُ إليهِ ويرتضيهِ.

د) اهتمامهُ رحمهُ اللهُ تعالَى بالقراءاتِ القرآنيَّةِ، فقدْ كانَ يردُّ القراءاتِ التِي لمْ تردْ عنْ أئمَّةِ القراءاتِ المشهودِ لهمْ، وأمَّا القراءاتُ الثَّابتةُ فكانَ لهُ اختيارٌ فيهَا؛ فهوَ أحيانًا يرفضُ بعضهَا لمخالفتهَا الإجماعِ، وأحيانًا أخرَى يفضِّلُ قراءةً علَى أخرَى لوجهٍ يراهُ، ويكتفِي حينًا بالتَّسويةِ بينَ تلكَ القراءاتِ دونَ ترجيحٍ.

هـ) لمْ يكنْ يهتمُّ بتفسيرِ مَا لَا فائدةَ فِي معرفتهِ، ومَا لَا يترتَّبُ عليهِ عملٌ؛ كمعرفةِ أسماءِ أصحابِ الكهفِ، ومعرفةِ نوعِ الطَّعامِ فِي المائدةِ التِي نزلتْ علَى رسولِ اللهِ عيسَى عليهِ السَّلامُ ونحوِ ذلكَ.

---

(1) تفسير الطبري جـ1، فصل: الأخبار في النهي عن تأويل القرآن بالرأي، صـ78،79، على موقع إسلام ويب نسخة محفوظة 22 أغسطس 2016 على موقع واي باك مشين.

(2) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، الدكتور محمد لطفي الصباغ، صـ275.

و) اهتمامهُ باللُّغةِ وعلومهَا، فقدْ كانَ يحتكمُ كثيرًا فِي تفسيرهِ عندَ التَّرجيحِ والاختيارِ إلَى المعروفِ منْ كلامِ العربِ، ويعتمدُ علَى أشعارهِمْ، ويرجعُ إلَى مذاهبهِمْ النَّحويَّةِ واللُّغويَّةِ، حيثُ قالَ فِي تفسيرهِ: "أنَّ منْ أوجهِ تأويلِ القرآنِ، مَا كانَ علمهُ عندَ أهلِ اللِّسانِ الذِي نزلَ بهِ القرآنُ".

ز) اهتمامهُ بالأحكامِ الفقهيَّةِ، فقدْ كانَ الطَّبرِيُّ صاحبَ مذهبٍ فقهِيٍّ، فكانَ يتعرَّضُ لآياتِ الأحكامِ ويناقشهَا ويعالجهَا، ثمَّ يختارُ منَ الأحكامِ الفقهيَّةِ مَا يراهُ أقوى دليلًا.

ح) كانَ يتعرَّضُ لكثيرٍ منْ مسائلِ العقيدةِ، ويردُّ علَى كلِّ منْ خالفَ فيهَا مَا عليهِ أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ، فقالَ عندَ تفسيرِ قولهِ تعالَى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾:[1] "بمعنَى: أنَّهُ مشاهدهمْ بعلمهِ، وهوَ علَى عرشهِ"، وقالَ عندَ تفسيرِ قولهِ تعالَى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾: "وأولَى المعانِي بقولِ اللهِ جلَّ ثناؤهُ علَا عليهنَّ وارتفعَ، فدبَّرهنَّ بقدرتهِ، وخلقهنَّ سبعَ سماواتٍ، والعجبُ ممَّنْ أنكرَ المعنَى المفهومَ منْ كلامِ العربِ فِي تأويلِ قولِ اللهِ تعالَى: "ثُمَّ اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ" الذِي هوَ بمعنَى العلُوِّ والارتفاعُ، هربًا عندَ نفسهِ منْ أنْ يلزمهُ بزعمهِ – إذَا تأوَّلهُ بمعناهُ المفهمِ كذلكَ – أنْ يكونَ إنَّمَا علَا وارتفعَ بعدَ أنْ كانَ تحتهَا – إلَى أنْ تأوَّلهُ بالمجهولِ منْ تأويلهِ المستنكرِ، ثمَّ لمْ ينجِ ممَّا هربَ منهُ! فيقالُ لهُ: زعمتَ أنَّ تأويلَ قولهِ "اِسْتَوَى" أقبلَ، أفكانَ مدبرًا عنِ السَّماءِ فأقبلَ إليهَا؟ فإنَّ زعمَ أنَّ ذلكَ ليسَ بإقبالِ فعلٍ، ولكنَّهُ إقبالُ تدبيرٍ، قيلَ لهُ: فكذلكَ فقلْ: علَا عليهَا علوَّ ملكٍ وسلطانٍ،

---

(1) تفسير الطبري ، تفسير سورة المجادلة، الآية 7.

لَا علوَّ انتقالٍ وزوالٍ، ثمَّ لنْ يقولَ فِي شيءٍ منْ ذلكَ قولًا إلَّا أُلزمَ فِي الآخرِ مثلهُ، ولولَا أنَّا كرهنَا إطالةَ الكتابِ بمَا ليسَ منْ جنسهِ، لأنبأنَا عنْ فسادِ قولِ كلِّ قائلٍ قالَ فِي ذلكَ قولًا لقولِ أهلِ الحقِّ فيهِ مخالفًا، وفيمَا بيَّنَّا منهُ مَا يشرفُ بذِي الفهمِ علَى مَا فيهِ لهُ الكفايةُ إنْ شاءَ اللهُ تعالَى"[1][2]، وكانَ يردُّ علَى كثيرٍ منْ آراءِ المعتزلةِ وغيرهمْ، فيقولُ عبدُ العزيزِ بنُ محمَّدٍ الطبرِي: "كانَ أبُو جعفرٍ يذهبُ فِي جلِّ مذاهبهِ إلَى مَا عليهِ الجماعةُ منَ السَّلفِ، وطريقِ أهلِ العلمِ المتمسِّكينَ بالسُّننِ، شديدًا عليهِ مخالفتهمْ، ماضيًا علَى منهاجهمْ، لَا تأخذهُ فِي ذلكَ ولَا فِي شيءٍ لومةَ لائمٍ، وكانَ يذهبُ إلَى مخالفةِ أهلِ الاعتزالِ فِي جميعِ مَا خالفُوا فيهِ الجماعةَ منَ القولِ بالقدرِ، وخلقِ القرآنِ وإبطالِ رؤيةِ اللهِ تعالَى فِي القيامةِ، وفِي قولهمْ بتخليدِ أهلِ الكبائرِ فِي النَّارِ، وإبطالِ شفاعةَ رسولِ اللهِ ﷺ وفِي قولهمْ إنَّ استطاعةَ الانسانِ قبلَ فعلهِ"[3].

ط) موقفهُ منَ الإسرائيلياتُ: كانَ رحمهُ اللهُ تعالَى يسوقُ فِي تفسيرهِ أخبارًا منَ القصصِ الإسرائيليَّةِ، وكانَ يتعقَّبُهَا أحيانًا بالنَّقدِ والتَّمحيصِ، وقالَ محمودُ محمَّدٌ شاكرٌ عنْ ذلكَ: "ولمَّا رأيتُ أنَّ كثيرًا منَ العلماءِ كانَ يعيبُ علَى الطَّبرِيِّ أنَّهُ حشدَ كثيرًا منْ الرِّوايةِ عنِ السَّالفينَ الذينَ قرؤُوا الكُتبَ وذكرُوا فِي معانِي القرآنِ مَا ذكرُوا منَ الرِّواياتِ عنْ أهلِ الكتابينِ السابقينَ كالتوراةُ والإنجيلُ، أحببتُ أنْ أكشفَ

(1) تفسير الطبري، تفسير سورة البقرة، القول في تأويل قوله تعالى " ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات ".
(2) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج 12، ص 516، 517.
(3) ياقوت الحموي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ج 6، ص 2462.

عنْ طريقةِ الطبريِّ فِي الاستدلالِ بهذهِ الرِّواياتِ روايةً روايةً، وأبيِّنَ عندَ كلِّ روايةٍ مقالةً الطبرِيِّ فِي إسنادهَا، وأنَّهُ إسنادٌ لَا تقومُ بهِ الحجَّةُ فِي دينِ اللهِ ولَا فِي تفسيرِ كتابهِ، وإنَّ استدلالهُ بهَا كانَ يقومُ مقامَ الاستدلالِ بالشِّعرِ القديمِ"[1].

ي) وكانَ رحمهُ اللهُ تعالَى يُجزِّئُ الآيةَ التِي يُريدُ تفسيرَهَا إلَى أجزاءٍ، فيفسِّرهَا جملةً جملةً، ويعمدُ إلَى تفسيرِ هذهِ الجملةَ، فيذكرُ المعنَى الجمليِّ لهَا بعدهَا، أوْ يذكرهُ أثناءَ ترجيحهِ إنْ كانَ هناكَ خلافٌ فِي تفسيرهَا؛

وإذَا لمْ يكنْ هناكَ خلافٌ بينَ أهلِ التَّأويلِ فسَّرَ تفسيرًا جُمْلِيًّا، ثمَّ قالَ: "وبنحوِ الذِي قلنَا فِي ذلكَ قالَ أهلُ التَّأويلِ".

وإذَا كانَ بينَ أهلِ التَّأويلِ خلافٌ، فقدْ يذكرُ التَّفسيرَ الجمليَّ، ثمَّ ينصُّ علَى وجودِ الخلافِ، ويقولُ: "واختلفَ أهلُ التَّأويلِ فِي تأويلِ ذلكَ، فقالَ بعضهمْ فيهِ نحوَ الذِي قلنَا فيهِ".

وقدْ يذكرُ اختلافَ أهلِ التَّأويلِ بعدَ المقطعِ المفسَّرِ مباشرةً، ثمَّ يذكرُ التَّفسيرَ الجمليَّ أثناءَ ترجيحهِ.

---

(1) مقدمة محمود شاكر من تفسير الطبري، 1: 16–17، وتعليقه في 1 : 453–454.

المآخذُ علَى تفسيرِ الطَّبرِيِّ:

إنَّ الطبرِيَّ رحمهُ اللهُ تعالَى ليسَ معصومًا منَ الخطأِ، كمَا قالَ ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ رضيَ اللهُ عنهمَا: وليسَ أحدٌ بعدَ النَّبِيِّ ﷺ إلَّا يؤخذُ منْ قولهِ ويتركُ إلَّا النَّبِيُّ ﷺ[1].

وكتابُ الطَّبرِيِّ الذِي بلغَ ستَّةَ آلافِ صفحة ليسَ غريبًا أنْ تردَ عليهِ بعضُ المآخذِ، وأنْ تصدرَ منهُ أخطاءٌ، والرَّسولُ ﷺ يقولُ: "كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ..."[2].

ولذلكَ لمْ يسلمْ تفسيرُ الطبرِيِّ منَ النَّقدِ، وكشفِ الأخطاءِ التِي وقعَ فيهَا، ويمكنُ إجمالهَا فيمَا يلِي:

1) لمْ يطبِّقْ الطَّبرِيُّ منهجهُ النَّقدِيَّ الكاملَ للأسانيدِ علَى جميعِ مَا جاءَ فِي التَّفسيرِ، وإنَّمَا فعلَ ذلكَ فِي بعضِ الرِّواياتِ النَّادرةِ، وتركَ غيرهَا معَ مَا فيهَا منْ أسانيدَ ضعيفةٍ، وكانَ جديرًا بِهِ أنْ ينبِّهَ عليهَا.

---

(1) قال الإمام البخاري في القراءة خلف الإمام ص: 213

والوجه الثالث اذا ثبت الخبر عن النبي ﷺ وأصحابه فليس في الأسود ونحوه حجة قال ابن عباس ومجاهد ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ .

وقال أبو نعيم في حلية الأولياء ج: 3 ص: 300

حدثنا محمد بن احمد بن موسى العدوي ثنا اسماعيل بن سعيد ينوي أخبرنا سفيان عن عبدالكريم عن مجاهد قال ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ.

وقال البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ج: 1 ص: 107

30 أخبرنا أبو بكر بن الحارث أبنا أبو محمد بن حيان ثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن ثنا عبد الجبار ثنا سفر عن عبدالكريم عن مجاهد قال ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلا النبي ﷺ.

(2) «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطَّائين التوّابون ».

أخرجه ابن أبي شيبة 187/13 , وأحمد 198/3, والترمذي (2499), وابن ماجه (4251) والحاكم 272/4 وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه, والبيهقي في شعب الإيمان 420/5, والدارمي 392/2, وأبو يعلى 301/5 وعبد بن حميد 360/1.

2) حشدَ الطَّبريُّ فِي تفسيرِهِ كثيرًا منَ الرِّواياتِ الإسرائيليَّةِ والنَّصرانيَّةِ، وقصصِ الوعظِ، ولَا حرجَ فِي ذلكَ، ولكنْ كانَ المفروضُ أنْ ينبِّهَ عليهَا.

3) وردَ فِي تفسيرِ الطَّبريِّ بعضُ الرِّواياتِ المتناقضةِ لابنِ عبَّاسَ رضيَ اللهُ عنهمَا، ولمْ يرجِّحْ روايةً منهَا علَى الأخرَى، ولمْ يتعرَّضْ لبيانِ الصَّوابِ منْ ذلكَ، كمَا اعترضَ بعضُ العلماءِ علَى الطَّبريِّ فِي نقدِهِ لبعضِ القراءاتِ، وإبهامِهِ لأسماءِ بعضِ علماءِ العربيَّةِ الذينَ أخذَ منهمْ، وأشارَ إلَى أسمائهمْ إشارةً.

وهذهِ الأخطاءُ لَا تعدُّ أخطاءً جسيمةً، والأصحُّ هيَ لَا تعدُّ أخطاءً أصلًا، فمثلَ مَا أسلفناهُ لَا ينقدهُ فيهِ إلَّا الأئمَّةُ أمثالهُ، وهيَ والحمدُ للهِ ليستْ أخطاءً فِي العقيدةِ، ولَا فِي أصولِ الدِّينِ جملةً، ولَا فِي أركانِ الإسلامِ، ولَا فِي قواعدِ الدِّينِ، ولَا فِي الأحكامِ القطعيَّةِ، ولَا فِي النُّصوصِ الثَّابتةِ ولَا فِي معاقدِ الإجماعِ.

ويبقَى تفسيرُ الطبري ثروةً عظيمةً، وذخيرةً منْ ذخائرِ الإسلامِ، ومصدرًا أصيلًا لكلِّ مفسِّرٍ وعالمٍ مجتهدٍ، ومرجعًا مهمًّا فِي جميعِ العلومِ اللُّغويَّةِ والعلومِ الشَّرعيَّةِ منْ علومِ القرآنِ، إلَى علومِ السُّنَّةِ، إلَى علومِ الفقهِ والعقيدةِ، والمذاهبِ الفقهيَّةِ، والتَّفسيرِ بالمأثورِ والاجتهاد.

فرحمَ اللهُ الإمامَ الطَّبرِي رحمةً واسعةً.

2) تفسيرُ القرآنِ العظيمِ، لمؤلِّفهِ: عمادُ الدِّينِ أبِي الفداءِ إسماعيلُ بنِ عمرَ بنِ كثيرٍ:

قالَ السُّيوطِي رحمهُ اللهُ تعالَى فِي تفسيرِ ابنِ كثيرٍ: لمْ يؤلَّفْ علَى نمطهِ مثلهُ[1].

وتفسيرهُ رحمهُ اللهُ تعالَى منَ التَّفسِيرِ بالمأثورِ، يفسِّر الآيةَ بالآيةِ فبالحديثِ فبقولِ الصَّحابةِ، وشهرتهُ تعقبُ شهرةَ الطَّبرِيِّ عندَ المتأخِّرينَ.

وتفسيرهُ سهلُ العبارةِ، جيِّدُ الصِّياغةِ، ليسَ بالطَّويلِ المملِّ، ولَا بالقصيرِ المخلِّ.

يفسِّرُ الآيةَ بالآيةِ، ويسوقُ الآياتِ المتناسبةِ معَ مَا يفسِّرهُ منَ الآياتِ، ثمَّ يسردُ الأحاديثَ الواردةَ فِي موضوعِ الآيةِ، ويسوقُ بعضَ أسانيدهَا وبخاصَّةٍ مَا يرويهِ الإمامُ أحمدُ فِي مسندهِ، وهوَ رحمهُ اللهُ تعالَى منْ حفظةِ المسندِ، ويتكلَّمُ علَى الأحاديثِ تصحيحًا وتضعيفًا غالبًا، وهيَ ميزةٌ عظيمةٌ فِي تفسيرهِ، ثمَّ يذكرُ أقوالَ السَّلفِ منَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ، ويوفِّقُ بينَ الأقوالِ، ويستبعدُ الخلافَ الشَّاذَّ[2].

قالَ عنهُ محمَّدٌ بنُ جعفرَ الكتَّانِي: إنَّهُ مشحونٌ بالأحاديثِ والآثارِ بأسانيدِ مخرجيهَا معَ الكلامِ عليهَا صحَّةً وضعفًا[3].

---

(1)" تذكرة الحفاظ " (ص 534).

(2) موقع الاسلام سؤال وجواب محمد صالح المنجد.

(3) " الرسالة المستطرفة " (ص 195).

منهجُ ابنِ كثيرٍ فِي التَّفسيرِ:

إنَّ النَّاظرَ فِي تفسيرِ هذَا الإمامِ الحافظِ رحمهُ اللهُ تعالَى، يعلمُ رسوخهُ فِي العلمِ، فقدِ امتازَ هذَا التَّفسيرُ بميزاتٍ متعدِّدةٍ توضِّحُ منهجَ الحافظِ فِي كتابهِ فمنهَا:

أ) امتازَ هذَا التَّفسيرُ بسهولةِ العبارةِ وجزالتهَا، بأسلوبٍ مختصرٍ.

ب) يذكرُ الرِّواياتِ بأسانيدهَا فِي الغالبِ، ويحكمُ علَى الرِّواياتِ فِي الغالبِ، فإنْ كانتْ ضعيفةً بيَّنَ علَّتهَا، ويسكتُ عنْ بعضِ الرِّواياتِ فلَا يذكرُ لهَا حكمًا.

ج) يفسِّرُ القرآنَ بالقرآنِ، حتَّى يتبيَّنَ المرادُ، وأحيانًا يذكرُ الآياتِ المتشابهةِ، ويذكرُ القراءاتِ، وأسبابِ النُّزولِ.

د) ثمَّ إنَّهُ فِي آياتِ الصِّفاتِ سلكَ مسلكَ الحقِّ والصَّوابِ بخلافِ كثيرٍ منَ المفسِّرينَ.

هـ) إنْ لمْ يجدْ ماَ يفسِّرهُ بالقرآنِ فسَّرهُ بسنَّةِ النَّبيِّ ﷺ، وينقلُ أقوالَ الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عنهمْ، ويذكرُ أقوالَ التَّابعينَ ثمَّ أتباعِ التَّابعينَ، بلْ إنَّهُ ينقلُ حتَّى عنِ الإمامِ الطَّبرِي رحمهُ اللهُ تعالَى.

وقدْ بيَّنَ رحمهُ اللهُ تعالَى منهجهُ فِي التَّفسيرِ فقالَ: "إنَّ أصحَّ الطُّرقِ فِي ذلكَ أنْ يفسَّرَ القرآنُ بالقرآنِ، فمَا أجملَ فِي مكانٍ فإنَّهُ قدْ فسِّرَ فِي موضعٍ آخرَ، فإنْ أعياكَ ذلكَ فعليكَ بالسُّنَّةِ فإنَّهَا شارحةٌ للقرآنِ وموضحةٌ لهُ...، وحينئذٍ، إذَا لمْ نجدِ التَّفسيرَ فِي القرآنِ ولَا فِي السُّنَّةِ، رجعنَا فِي ذلكَ إلَى أقوالِ الصَّحابةِ، فإنَّهمْ أدرى بذلكَ، لمَا شاهدُوا منَ القرائنِ والأحوالِ التِي اختصُوا بهَا، ولمَا لهمْ منَ الفهمِ التَّامِّ، والعلمِ

الصَّحيحِ، والعملِ الصَّالحِ، لَا سيَّمَا علماؤهمْ وكبراؤهمْ، كالأئمَّةِ الأربعةِ والخلفاءِ الرَّاشدينَ، والأئمَّةِ المهديِّينَ، وعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، رضيَ اللهُ عنهمُ أجمعينَ"[1].

وبيَّنَ منهجهُ رحمهُ اللهُ تعالَى منَ الإسرائيليَّاتِ فقالَ: "هذهِ الأحاديثُ الإسرائيليَّةُ تُذكرُ للاستشهادِ، لَا للاعتضادِ، فإنَّهَا علَى ثلاثةِ أقسامٍ:

أحدهَا: مَا علمنَا صحتَّهُ ممَّا بأيدينَا ممَّا يشهدُ لهُ بالصِّدقِ، فذاكَ صحيحٌ.

والثَّانِي: مَا علمنَا كذبهُ بمَا عندنَا ممَّا يخالفهُ.

والثَّالثُ: مَا هوُ مسكوتٌ عنهُ لَا منْ هذَا القبيلِ ولَا منْ هذَا القبيلِ، فلَا نؤمنُ بهِ ولَا نكذِّبهُ، وتجوزُ حكايتهُ لمَا تقدَّمَ، وغالبُ ذلكَ ممَّا لَا فائدةَ فيهِ تعودُ إلَى أمرٍ دينِيٍّ؛ ولهذَا يختلفُ علماءُ أهلِ الكتابِ فِي هذَا كثيرًا، ويأتِي عنِ المفسِّرينَ خلافٌ بسببِ ذلكَ، كمَا يذكرونَ فِي مثلِ هذَا أسماءَ أصحابِ الكهفِ، ولونَ كلبهمْ، وعدَّتهمْ، وعصَا موسَى منْ أيِّ الشَّجرِ كانتْ؟ وأسماءَ الطُّيورِ التِي أحياهَا اللهُ لإبراهيمَ، وتعيينِ البعضِ الذِي ضُربَ بهِ القتيلُ منَ البقرةِ، ونوعِ الشَّجرةِ التِي كلَّمَ اللهُ منهَا موسَى، إلَى غيرِ ذلكَ ممَّا أبهمهُ اللهُ تعالَى فِي القرآنِ، ممَّا لَا فائدةَ فِي تعيينهِ تعودُ علَى المكلَّفينَ فِي دنياهمْ ولَا دينهمْ، ولكنَّ نقلَ الخلافِ عنهمْ فِي ذلكَ جائزٌ...، فهذَا أحسنُ مَا يكونُ فِي حكايةِ الخلافِ: أنْ تستوعبَ الأقوالَ فِي ذلكَ المقامِ، وأن تُنبِّهَ علَى الصَّحيحِ منهَا وتُبطلُ الباطلَ، وتذكرُ فائدةَ الخلافِ وثمرتهِ؛ لئلَّا يطولَ النِّزاعُ والخلافُ فيمَا لَا فائدةَ تحتهُ، فتشتغلُ بهِ عنِ الأهمِّ فالأهمِّ، فأمَّا منْ حكَى خلافًا فِي مسألةٍ ولمْ يستوعبْ أقوالَ النَّاسِ فيهَا فهوَ ناقصٌ، إذْ قدْ يكونُ الصَّوابُ فِي الذِي

---

(1) تفسير ابن كثير (1/ 7)، بتصرف يسير.

تركهُ، أوْ يحكِي الخلافَ ويطلقهُ ولَا ينبِّهُ علَى الصَّحيحِ منَ الأقوالِ، فهوَ ناقصٌ أيضًا، فإنْ صحَّحَ غيرَ الصَّحيحِ عامدًا فقدْ تعمَّدَ الكذبَ، أوْ جاهلًا فقدْ أخطأَ، وكذلكَ منْ نصبَ الخلافَ فيمَا لَا فائدةَ تحتهُ، أوْ حكَى أقوالاً متعدِّدةً لفظًا ويرجعُ حاصلهَا إلَى قولٍ أوْ قولينِ معنَى، فقدْ ضيَّعَ الزَّمانَ، وتكثَّرَ بمَا ليسَ بصحيحٍ، فهوَ كلابسٍ ثوبَيْ زورٍ، واللهُ الموفِّقُ للصَّوابِ"[1].

ثمَّ بيَّنَ أنَّهُ إذَا لمْ يجدِ التَّفسيرَ فِي القرآنِ ولَا فِي السُّنَّةِ ولَا وجدهُ عنِ الصَّحابةِ فإنَّهُ يرجعُ إلَى أقوالِ التَّابعينَ، خاصَّةً كبارهمْ، فقالَ رحمهُ اللهُ تعالَى: إذَا لمْ تجدِ التَّفسيرَ فِي القرآنِ ولَا فِي السُّنَّةِ ولَا وجدتهُ عنِ الصَّحابةِ، فقدْ رجعَ كثيرٌ منَ الأئمَّةِ فِي ذلكَ إلَى أقوالِ التَّابعينَ، كمجاهدِ بنِ جبرٍ فإنَّهُ كانَ آيةً فِي التَّفسيرِ...، ولهذَا كانَ سفيانُ الثَّورِيُّ يقولُ: إذَا جاءكَ التَّفسيرُ عنْ مجاهدٍ فحسبكَ بهِ"، وكسعيدِ بنِ جبيرٍ، وعكرمةَ مولَى ابنِ عبَّاسَ، وعطاءِ بنِ أبِي رباحٍ، والحسنِ البصريُّ، ومسروقٍ ابنِ الأجدعِ، وسعيدٍ بن المسيَّبِ، وأبِي العاليةَ، والرَّبيعِ بنِ أنسٍ، وقتادةَ، والضحَّاكِ بنِ مزاحمٍ، وغيرهمْ منَ التَّابعينَ وتابعيهمْ ومنْ بعدهمْ، فتذكرُ أقوالهمْ فِي الآيةِ فيقعُ فِي عباراتهمْ تباينٌ فِي الألفاظِ، يحسبهَا منْ لَا علمَ عندهُ اختلافًا فيحكيهَا أقوالًا وليسَ كذلكَ، فإنَّ منهمْ منْ يعبِّرُ عنِ الشَّيءِ بلازمهِ أوْ بنظيرهِ، ومنهمْ منْ ينصُّ علَى الشَّيءِ بعينهِ، والكلُّ بمعنًى واحدٍ فِي كثيرٍ منَ الأماكنِ، فليتفطَّنُ اللَّبيبُ لذلكَ، واللهُ الهادِي"[2].

---

(1) تفسير ابن كثير (1/ 9).

(2) تفسير ابن كثير (10/1)، بتصرف يسير.

ثمَّ ذكرَ قولَ شعبةَ بنِ الحجَّاجِ وغيرِهِ بأنَّ "أقوالَ التَّابعينَ فِي الفروعِ ليستْ حجَّةً" يعنِي: أنَّهَا لَا تكونُ حجَّةً علَى غيرِهِمْ ممَّنْ خالفهمْ، وهذَا صحيحٌ، أمَّا إذَا أجمعُوا علَى الشَّيءِ فلَا يرتابُ فِي كونِهِ حجَّةً، فإنِ اختلفُوا فلَا يكونُ بعضهمْ حجَّةً علَى بعضٍ، ولَا علَى منْ بعدهمْ، ويُرجعُ فِي ذلكَ إلَى لغةِ القرآنِ أوِ السُّنَّةِ أوْ عمومِ لغةِ العربِ، أوْ أقوالِ الصَّحابةِ فِي ذلكِ"[1].

وبيَّنَ رأيهُ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي تفسيرِ القرآنِ بمجرَّدِ الرَّأيِ وأنَّ هذَا حرامٌ لَا يجوزُ[2].

---

(1) تفسير ابن كثير (10/1)، بتصرف يسير.

(2) انظر: المصدر السابق (10/1).

المآخذُ علَى تفسيرِ ابنِ كثيرٍ:

تفسيرُ الحافظِ ابنِ كثيرٍ رحمهُ اللهُ تعالَى منْ أنفعِ التَّفاسيرِ وأحسنهَا، فقدْ قالَ العلَّامةُ أحمدُ شاكرٍ رحمهُ اللهُ تعالَى عنهُ: " فإنَّ تفسيرَ الحافظِ ابنِ كثيرٍ أحسنُ التَّفاسيرِ التِي رأينَا، وأجودهَا وأدقِّهَا بعدَ تفسيرِ إمامِ المفسِّرينَ أبِي جعفرٍ الطبرِي"[1].

إلَّا أنَّ ابنَ كثيرٍ رحمهُ اللهُ تعالَى غيرُ معصومٍ وقدْ صدقَ قولُ العلَّامةِ ابنُ رجبٍ رحمهُ اللهُ تعالَى حينَ قالَ: " ويأبَى اللهُ العصمةَ لكتابٍ غيرَ كتابهِ"[2].

وقدْ وهمَ ابنُ كثيرٍ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي مواقعَ فِي تفسيرهِ منهَا قولهُ:" فأمَّا الحديثُ الآخرُ فِي الصَّحيحينِ "ألَا أخبركمْ بشرِّ الشهداءِ؟ الذينَ يشهدونَ قبلَ أنْ يستشهدُوا".

هكذَا قالَ رحمهُ اللهُ تعالَى، وهذَا وهمٌ منهُ، فهذَا الحديثُ ليسَ موجودًا فِي الصَّحيحينِ، ولذلكَ علَّقَ العلَّامةُ الألبانِيُّ رحمهُ اللهُ تعالَى علَى ذلكَ حيثُ قالَ: "وقدْ وهمَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ وهمًا فاحشًا فِي آخرِ تفسيرِ سورةِ "البقرةِ"؛ فذكرَ أنَّهُ "فِي الصَّحيحينِ"[3].

وهذهِ الأخطاءُ يقعُ فيهَا كلُّ عالمٍ، فالمآخذُ التِي فِي كتابِ ابنِ كثيرٍ منْ هذَا النَّوعِ، ويبقَى كتابُ ابنِ كثيرٍ كتابُ تفسيرٍ بالمأثورِ موازيًا لتفسيرِ الطَّبرِيِّ أوْ بعدهُ، وهوَ ثروةٌ إسلاميَّةٌ لَا يُستغنَى عنهَا بحالٍ، فرحمَ اللهُ ابنَ كثيرٍ.

(1) عمدة التفسير (1/ 9)، الطبعة الثانية، 1426هـ – 2005م، نشر دار الوفاء، دار ابن حزم.

(2) القواعد لابن رجب.

(3) السلسلة الظَّعيفة.

3) معالمُ التَّنزيلِ لمؤلِّفهِ الحسينُ بن مسعودٍ بن محمَّدٍ المعروفِ بالفرَّاءِ البغوِي:

سُئِلَ شيخُ الإسلامِ ابنِ تيميَّةُ ... أيُّ التَّفاسيرِ أقربُ إلَى الكتابِ والسُّنَّةِ؟ الزَّمخشرِي؟ أمِ القرطبِي؟ أمِ البغوِي؟ أوْ غيرِ هؤلاءِ؟

قالَ: ... وأمَّا التَّفاسيرُ الثَّلاثةُ المسئولُ عنهَا فأسلمهَا منَ البدعةِ والأحاديثِ الضَّعيفةِ "البغوِي"، لكنَّهُ مختصرٌ منْ تفسيرِ الثَّعلبِي وحذفَ منهُ الأحاديثَ الموضوعةَ، والبدعَ التِي فيهِ، وحذفَ أشياءَ غيرَ ذلكَ[1].

---

(1) مجموع الفتاوى صـ 385.

منهجُ البغويِّ فِي تفسيرهِ، والباعثُ علَى تأليفهِ لكتابِ (معالمِ التَّنزيلِ):

كتابُ معالمِ التَّنزيلِ يُعدُّ منْ أشهرِ كتبِ التَّفسيرِ بالمأثورِ، وهوَ تفسير لكلِّ القرآنِ معَ مقدمَّةٍ للمؤلِّفِ يستهلُّهَا بحمدِ اللهِ والصَّلاةِ والسَّلامِ علَى رسولهِ، ثمَّ يبيِّنُ مهمَّةَ إرسالِ الرَّسولِ ﷺ وإنزالِ الكتابِ المعجزِ عليهِ، ثمَّ يذكرُ مَا اشتملَ عليهِ القرآنُ منَ الأمورِ عقيدةً وفقهًا وقصصًا وحكمًا.

ثمَّ ينتقلُ إلَى دواعِي تأليفهِ لتفسيرهِ فيقولُ: (فسألنِي جماعةٌ منْ أصحابِي المخلصينَ وعلَى اقتباسِ العلمِ مقبلينَ، كتابًا فِي معالمِ التَّنزيلِ وتفسيرهِ، فأجبتهمْ إليهِ معتمدًا علَى فضلِ اللهِ تعالَى وتيسيرهِ ممتثلًا وصيَّة رسولِ اللهِ ﷺ فيهمْ، فيمَا يرويهِ أبُو سعيدِ الخدرِي أنَّهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ: (إنَّ رجالاً يأتونكمْ منْ أقطارِ الأرضِ يتفقَّهونَ فِي الدِّينِ، فإذَا أتوكمْ فاستوصُوا بهمْ خيرًا)[1].

ويقدِّمُ البغوِيُّ بعدَ ذلكَ الطَّريقةَ التِي اختارهَا وجعلَ عليهَا تفسيرهُ وهيَ التَّوسُّطُ والاعتدالُ فيقولُ: (فجمعتُ بعونِ اللهِ تعالَى وحسنِ توفيقهِ فيمَا سألُوا كتابًا متوسِّطًا بينَ الطَّويلِ المملِّ والقصيرِ المخلِّ، أرجُو أنْ يكونَ مفيدًا لمنْ أقبلَ علَى تحصيلهِ).

ثمَّ يبيِّنُ البغوِيُّ معنَى التَّفسيرِ والتَّأويلِ والفرقِ بينهمَا ومعنَى نزولِ القرآنِ علَى سبعةِ أحرفٍ، ثمَّ ينطلقُ إلَى تفسيرِ كتابِ اللهِ تعالَى سورةً سورةً، منْ سورةِ الفاتحةِ حتَّى سورةِ النَّاسِ[2].

---

(1) تحفة الأحوذي 346

(2) (البغوي ومنهجه في التفسير) عفاف عبدالغفور.

وللبغويِّ منهجٌ متميِّزٌ فِي التَّفسيرِ، حيثُ يعتمدُ علَى عناصرَ أساسيَّةٍ وهيَ: اعتمادهُ علَى المأثورِ منَ الكتابِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ وأقوالِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ، معَ عنايتهِ بالقراءاتِ واللُّغةِ والنَّحوِ بإيجازٍ يحقِّقُ فهمَ الآياتِ، وذكرهِ لمسائلِ العقيدةِ والأحكامِ الفقهيَّةِ بطريقةٍ مختصرةٍ، وهذَا تفصيلُ منهجهِ فِي التَّفسيرِ.

أ) تفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ:

يعتمدُ تفسيرُ (معالمِ التَّنزيلِ) علَى كتابِ اللهِ تعالَى اعتمادًا كبيرًا، وهناكَ منَ الأمثلةِ فِي تفسيرهِ الكثيرُ.

ب) تفسيرُ القرآنِ بالسُّنَّةِ:

يُعتبرُ الإمامُ البغويُّ محيِي السُّنَّةِ وأبرزِ أعلامِ عصرهِ فِي ميدانِ الحديثِ والسُّنَّةِ، ولمْ يزلْ كذلكَ فِي العصورِ التَّاليةِ لمَا تركهُ منْ آثارٍ ومؤلَّفاتٍ نفيسةٍ فِي السُّنَّة النَّبويَّةِ وعلَى رأسهَا (مصابيحُ السُّنَّةِ) و(شرحُ السُّنَّةِ).

ويتميَّزُ البغويُّ فِي تفسيرهِ بجودةِ اختيارهِ وانتخابهِ لنصوصِ الحديثِ التِي يوردهَا فِي مطاوِي التَّفسيرِ وتحرِّيهِ، وحرصهِ علَى الصَّحيحِ منهَا، وبُعدهِ وإعراضهِ عنِ الضَّعيفِ والمنكرِ منَ الأحاديثِ ممَّا لَا يتناسبُ ولَا يتفِّقُ معَ تفسيرِ كتابِ اللهِ تعالَى، وحولَ هذَا يقولُ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي مقدِّمةِ تفسيرهِ: (ومَا ذكرتُ منْ أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ فِي أثناءِ الكتابِ علَى وفاقِ آيةٍ أوْ بيانِ حكمٍ، فهيَ منَ الكتابِ المسموعةِ للحفَّاظِ وأئمَّة الحديثِ، وأعرضتُ عنْ ذكرِ المناكيرِ ومَا لَا يليقُ بحالِ التَّفسيرِ)[1].

---

(1) مقدِّمة تفسير البغوي.

ج) حرصهُ فِي تفسيرهِ علَى المأثورِ منْ أقوالِ الصَّحابةِ والتابعينَ:

جاءَ تفسيرُ الإمامِ البغوِيِّ فضلاً عنِ اعتمادهِ علَى الكتابِ والسُّنَّةِ اعتمادًا ظاهرًا، معتمدًا علَى المأثورِ منْ تفسيرِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ، وهوَ اعتمادٌ يكادُ يكونُ مطلقًا، ومقدِّمةُ تفسيرهِ تكشفُ لنَا بوضوحٍ عنِ اتِّجاههِ النقلِيِّ فِي تفسيرِ آياتِ كتابِ اللهِ تعالَى، فمصادرُ تفسيرهِ فِي المقامِ الأوَّلِ: كتبُ التَّفسيرِ بالمأثورِ وقدْ بلغتْ مصادرهُ فِي المأثورِ والأخبارِ خمسةَ عشرَ مصدرًا، منهَا: ابنُ عبَّاسٍ ومجاهدٌ بنُ جبرٍ، وعطاءُ بنُ أبِي رباحٍ، والحسنُ البصرِيِّ، وقتادةُ، وأبُو العاليةَ، والقُرظِي، وزيدٍ بنِ أسلمٍ، والكلبِيِّ، والضَّحاكِ، ومقاتلٍ بنِ سليمانَ...

المآخذُ علَى تفسيرِ البغويِّ:

تقريبًا أشادَ بتفسيرِ البغويِّ جميعُ العلماءِ، منهمُ الإمامُ الذهبِي[1] إلَّا أنَّ الانتقادَ الأساسِيَّ علَى تفسيرِهِ كانَ بأخذِهِ بالإسرائيليَّاتِ فِي بعضِ المواضعِ.

ولأهميَّةِ الكتابِ فِي علمِ التَّفسيرِ قامَ بعضُ العلماءِ باختصارِهِ، وآخرونَ اقتبسُوا منهُ أجزاءً لكتبهِمْ.

ومنْ ذلكَ أنْ قامَ علاءُ الدِّينِ عليُّ بنُ إبراهيمَ (المعروفِ بالخازنِ، المتوفِّي سنةَ 725) بكتابةِ تفسيرِهِ "لبابُ التَّأويلِ" مختصرًا منْ كتابِ معالمِ التَّنزيلِ للبغوِيِّ، وقدْ أضافَ عليهِ مَا كانَ يراهُ ملائمًا.

كمَا استفادَ منهُ برهانُ الدِّينِ الزَّركشِي عندَ كتابةِ كتابِهِ "البرهانُ".

---

(1) طبقات الحفاظ، ص 457.

4) تفسيرُ القرآنِ العظيمِ، لمؤلِّفهِ ابنِ أبِي حاتمٍ الرَّازِي:

قدِ احتلَّ تفسيرُ الإمامِ ابنُ أبِي حاتمٍ مكانةً مرموقةً بينَ كتبِ التَّفسيرِ بالمأثورِ، وأثنَى عليهِ أهلُ العلمِ ثناءً عطرًا، ومنْ أقولهمْ فيهِ:

قالَ الإمامُ الذَّهبِي: "قلَّ أنْ يُوجدَ مثلهُ"[1].

ونعَتهُ أيضًا بأنَّهُ: "منْ أحسنِ التَّفاسيرِ"[2].

وقالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ: "ولهُ (التَّفسيرُ) الحافلُ الذِي اشتملَ علَى النَّقلِ الكاملِ، الذِي يُرْبِي فيهِ علَى (تفسيرِ ابنِ جريرٍ) وغيرهِ منَ المفسِّرينَ"[3].

وقالَ العلَّامةُ ابنُ قاضِي شهبةَ: "صنَّفَ الكتبَ المهمَّةَ، كالتَّفسيرِ الجليلِ المقدارِ"[4] (يقصدُ تفسيرَ القرآنِ العظيمِ).

وقالَ الإمامُ الزَّرْكَشِي: "ثُمَّ إنَّ محمَّدَ بنِ جريرٍ الطَّبرِي جمعَ علَى النَّاسِ أشتاتَ التَّفاسيرِ وقرَّبَ البعيدَ، وكذلكَ عبدُ الرَّحمنِ بنِ أبِي حاتمٍ الرَّازِي"[5].

---

(1) «تاريخ الإسلام» (7/534).

(2) «سير أعلام النبلاء» (13/264).

(3) «البداية والنهاية» (15/113).

(4) «طبقات الشَّافعية» (1/79).

(5) «البرهان في علوم القرآن» (2/159).

منهجُ ابنِ أبي حاتمٍ فِي تفسيرِهِ:

فسَّرَ ابنُ أبِي حاتمٍ القرآنَ كلَّهُ، محاولًا أنْ يجعلَ منْ تفسيرِهِ مدوَّنةً كبيرةً للتَّفسيرِ المأثورِ عنِ النَّبِيِّ ﷺ، والصَّحابةِ رضوانُ اللهِ عليهِمْ، والتَّابعينَ وأتباعِ التَّابعينَ وتبعِ أتباعِ التَّابعينَ، وقدِ اقتصرَ رحمهُ اللهُ تعالَى علَى المرويَّاتِ التَّفسيريَّةِ المأثورةِ بأصحِّ الأسانيدِ التِي بلغتهُ.

ومنْ هنَا يمكننَا اعتبارُ تفسيرِ ابنِ أبِي حاتمٍ موسوعةً للتَّفسيرِ المأثورِ المُسندِ، كمَا يعتبرُ مصدرًا مهمًّا للتُّراثِ التَّفسيرِي المفقودِ، حيثُ أنَّهُ عملَ علَى جمعِ تفاسيرِ أعلامِ المفسِّرينَ منَ السَّلفِ الصَّالحِ الذينَ ضاعتْ أصولهمْ التَّفسيريَّةُ، ليصبحَ تفسيرُ ابنِ أبِي حاتمٍ منَ المصادرِ القليلةِ التِي احتفظتْ بهذهِ الدُّررِ النَّفيسةِ.

وفضلًا عنِ التَّفسيرِ فابنُ أبِي حاتمٍ هوَ صاحبُ المؤلَّفِ الشَّهيرِ فِي الجرحِ والتَّعديلِ، الذِي طبعَ بالهندِ.

يقولُ ابنُ أبِي حاتمٍ رحمهُ اللهُ تعالَى عنْ أسبابِ تأليفهِ لهذَا التَّفسيرِ، والطَّريقةِ التِي سلكهَا فيهِ: "سألنِي جماعةٌ منْ إخوانِي إخراجَ تفسيرِ القرآنِ مختصرًا بأصحِّ الأسانيدِ، وحذفِ الطُّرقِ والشَّواهدِ والحروفِ والرِّواياتِ، وتنزيلِ السُّورِ، وأنْ نقصدَ لإخراجِ التَّفسيرِ مجرَّدًا دونَ غيرهِ، متقصٍّ تفسيرَ الآيِ حتَّى لَا نتركَ حرفًا منَ القرآنِ يوجدُ لهُ تفسيرٌ إلَّا أخرجَ ذلكَ، فأجبتهمْ إلَى مُلتمسهمْ، وباللهِ التَّوفيقُ، وإيَّاهُ نستعينُ، ولَا حولَ ولَا قوَّة إلَّا باللهِ.

فتحرَّيتُ إخراجَ ذلكَ بأصحِّ الأخبارِ إسنادًا، وأشبعهَا متنًا، فإذَا وجدتُ التَّفسيرَ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ لمْ أذكرْ معهُ أحدًا منَ الصَّحابةِ ممَّنْ أتَى بمثلِ ذلكَ، وإذَا وجدتهُ عنِ الصَّحابةِ فإنْ كانُوا متَّفقينَ ذكرتهُ عنْ أعلاهمْ درجةً بأصحِّ الأسانيدِ، وسمَّيتُ موافقيهمْ بحذفِ الإسنادِ، وإنْ كانُوا مختلفينَ ذكرتُ اختلافهمْ وذكرتُ لكلٍّ واحدٍ منهمْ إسنادًا، وسمَّيتُ موافقيهمْ بحذفِ الإسنادِ، فإنْ لمْ أجدْ عنِ الصَّحابةِ ووجدتهُ عنِ التَّابعينَ عملتُ فيمَا أجدُ عنهمْ مَا ذكرتهُ منَ المثالِ فِي الصَّحابةِ، وكذَا أجعلُ المثالَ فِي أتباعِ التَّابعينَ وأتباعهمْ، جعلَ اللهُ ذلكَ لوجههِ خالصًا ونفعَ بهِ"[1] .

كمَا استدركَ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي مقدِّمةِ تفسيرهِ سندَ بعضَ أعلامِ التَّفسيرِ الذينَ كثرتْ الرِّوايةُ عنهمْ، ومنْ ثمَّ فإنَّهُ لمْ يذكرْ سندهمْ عندَ ورودِ كلِّ مرويَّةٍ منْ مرويَّاتهمْ، وذلكَ توخيًّا للاختصارِ وعدمِ التِّكرارِ فقالَ رحمهُ اللهُ تعالَى:

"فأمَّا مَا ذكرنَا عنْ أبِي العاليةِ فِي سورةِ البقرةِ بلَا إسنادٍ فهوَ مَا حدَّثنَا عصامُ بنِ روادٍ العسقلانِي ثنَا آدمُ عنْ أبِي جعفرٍ الرَّازِي عنِ الرَّبيعِ بنِ أنسٍ عنْ أبِي العاليةِ.

ومَا ذكرنَا فيهِ عنِ السَّدِي بلَا إسنادٍ فهوَ مَا حدَّثنَا أبُو زرعةَ ثنَا عمرٌو بنِ حمَّادَ بنِ طلحةَ ثنَا أسباطٌ عنِ السَّدِي.

ومَا ذكرنَا عنِ الرَّبيعِ بنِ أنسٍ بلَا إسنادٍ فهوَ مَا حدَّثنَا أحمدُ بنِ عبدِ الرَّحمنِ الدَّشتكِي ثنَا عبدُ اللهِ بنِ أبِي جعفرٍ عنِ الرَّبيعِ بنِ أنسٍ.

---

(1) (مقدمة تفسير ابن أبي حاتم الرازي).

ومَا ذكرنَا فيهِ عنْ مقاتلٍ فهوَ مَا قرأتُ علَى محمَّدٍ بنِ الفضلِ بنِ موسَى عنْ محمَّدٍ بنِ عليٍّ بنِ الحسينِ بنِ شقيقٍ عنْ محمَّدٍ بنِ مزاحمٍ عنْ بكيرٍ بنِ معروفٍ عنْ مقاتلٍ[1].

ويمكننَا أنْ نوجزَ منهجَ ابنِ أبِي حاتمٍ الرَّازِي فِي الخطواتِ المنهجيَّةِ التَّاليةِ:

أ) يذكرُ الآيةَ موضوعَ التَّفسيرِ.

ب) يذكرُ السَّندَ كاملًا.

ج) يذكرُ المرويَّةَ التَّفسيريَّةَ.

د) كمَا أنَّ لهُ طريقةً لَا تكادُ تتخلفُ فِي ترتيبِ المرويَّاتِ التَّفسيريَّةِ، حيثُ يبدأُ بالأحاديثِ النَّبويَّةِ الشَّريفةِ، ويعقبهَا بمرويَّاتِ الصَّحابةِ فالتَّابعينَ فأتباعِ التَّابعينَ، فتبعِ أتباعِ التَّابعينَ.

---

(1) (مقدمة تفسير ابن أبي حاتم الرازي).

مِنَ المآخذِ علَى تفسيرِ ابنِ أبِي حاتمٍ:

أنَّهُ لَا يبدأُ بتفسيرِ الآيةِ ثمَّ يوردُ الأحاديثَ النَّبويَّةَ الشَّريفةَ ومرويَّاتِ السَّلفِ فِي التَّفسيرِ الموافقةِ للمعنَى الذِي يراهُ، كمَا أنَّهُ لَا يرجِّحُ بينَ هذهِ المرويَّاتِ، ولَا يذكرُ أحوالَ السَّندِ، ممَّا جعلَ بعضَ مرويَّاتهِ تتَّسمُ بالضَّعفِ، وأحيانًا بالضَّعفِ الشَّديدِ، ومنهَا الضَّعيفُ الذي لَا ينجبرُ، ممَّا يحتِّمُ النَّظرَ فِي أحوالِ السَّندِ توخيًّا لأصحِّ المرويَّاتِ التَّفسيريَّةِ.

ومعَ هذَا فقدْ تقدَّمَ جهابذةُ العلمِ منَ المعاصرينَ فحقَّقوا تلكَ الأسانيدِ، فميَّزوا الصَّحيحَ منهَا منَ الضَّعيفِ، والمحفوظَ منهَا منَ الشَّاذِ، والمعلولَ منهَا منَ السَّليمِ، فكانَ تفسيرُ ابنُ أبِي حاتمٍ بذلكَ تفسيرًا آيةً فِي الإبداعِ، وتعرفُ منهُ تمكينَ صاحبهِ منْ هذَا الفنِّ، ومنَ القلمِ تعرفُ صاحبَهُ.

5) الجامعُ لأحكامِ القرآنِ، والمبيِّنِ لمَا تضمَّنَ منَ السُّنَّةِ وأحكامِ الفرقانِ لمؤلِّفهِ: محمَّدٌ بنُ أحمدَ بنِ أبِي بكرٍ بنِ فرْحٍ القرطبِيِّ:

سُئِلَ شيخُ الإسلامِ ابنِ تيميةَ رحمهُ اللهُ تعالَى عنْ أيِّ التَّفاسيرِ أقربُ إلَى الكتابِ والسُّنَّةِ: الزَّمخشرِي، أمِ القرطبِي، أمِ البغوِي، أمْ غيرِ هؤلاءِ؟

فأجابَ رحمهُ اللهُ تعالَى: .... وأمَّا الزَّمخشرِيُّ فتفسيرهُ محشوٌّ بالبدعةِ، وعلَى طريقةِ المعتزلةِ منْ إنكارِ الصِّفاتِ، والرُّؤيةِ، والقولِ بخلقِ القرآنِ، وأنكرَ أنَّ اللهَ مريدٌ للكائناتِ، وخالقٌ لأفعالِ العبادِ، وغيرَ ذلكَ منْ أصولِ المعتزلةِ ... وتفسيرُ القرطبِي خيرٌ منهُ بكثيرٍ، وأقربُ إلَى طريقةِ أهلِ الكتابِ والسُّنَّةِ، وأبعدَ عنِ البدعِ وإنْ كانَ كلَّ منْ هذهِ الكتبِ لَا بدَّ أنْ يشتملَ علَى مَا يُنقدُ، لكنْ يجبُ العدلُ بينهَا وإعطاءُ كلَّ ذِي حقٍّ حقَّهُ ...[1].

ويمتازُ القرطبِي فِي تفسيرهِ: بعدمِ التَّعصُّبِ لمذهبٍ فقهِيٍّ معيَّنٍ، خاصَّةً مَا يتعلَّقُ بالمذهبِ المالكِي، فنجدُهُ فِي بعضِ المسائلِ يسوقُ رأيَ الإمامِ مالكٍ ثمَّ يرجِّحُ غيرهُ ممَّا يدلُّ عليهِ الدَّليلُ[2].

(1) مقدمة في أصول التفسير، صفحة41.

(2) كتاب التَّفسير مجموعة زاد للعلوم الشَّرعية/محمد صالح المنجد.

منهجُ القرطبِي فِي التَّفسيرِ:

قدَّمَ المؤلِّفُ لتفسيرِهِ مقدِّمةً حافلةً ببيانِ فضائلِ القرآنِ وآدابِ حملتهِ، ومَا ينبغِي لصاحبِ القرآنِ أنْ يأخذَ نفسهُ بِهِ، ثمَّ أوضحَ مقصدهُ وباعثهُ علَى كتابةِ هذَا التَّفسيرِ بقولهِ: "وعملتهُ تذكرةً لنفسِي، وذخيرةً ليومِ رَمْسِي، وعملاً صالحًا بعدَ موتِي"[1]، وقدِ التزمَ القرطبِيُّ فِي هذَا التَّفسيرِ الأمانةَ العلميَّةَ، والموضوعيَّةَ فِي الإفادةِ منْ أسلافِهِ؛ فقالَ: "وشرطِي فِي هذَا الكتابِ إضافةُ الأقوالِ إلَى قائليهَا، والأحاديثِ إلَى مصنِّفيهَا، فإنَّهُ يقالُ: منْ بركةِ العلمِ أنْ يضافَ القولُ إلَى قائلهِ"[2]، وكانَ لَا يقفُ فِي تفسيرِ القرآنِ عندَ حدِّ مَا رُوِيَ منْ ذلكَ عنِ الرَّسولِ ﷺ والسَّلفِ الصَّالحِ، بلْ يتَّخذُ مَا أُوتيهُ منْ أدواتِ العلمِ وسيلةً يستعينُ بهَا علَى فهمِهِ، وكانَ يقصدُ إلَى تفسيرِ القرآنِ الكريمِ ببيانِ التَّعبيرِ القرآنِي وأسرارِهِ ومنزلتهِ منَ الكلامِ العربِي، ومنْ هنَا عُنِيَ باللُّغاتِ والإعرابِ والقراءاتِ؛ فكانَ يوردُ الآيةَ أوِ الآياتِ ويفسِّرهَا بمسائلَ يجمعهَا فِي أبوابٍ، فيقولُ مثلاً: تفسيرُ سورةِ الفاتحةِ، وفيهِ أربعةُ أبوابٍ؛ البابُ الأوَّلُ: فِي فضلهَا وأسمائهَا، وفيهِ سبعُ مسائلَ ويذكرهَا، البابُ الثَّانِي: فِي نزولهَا وأحكامهَا، وفيهِ عشرونَ مسألةً، البابُ الثَّالثُ: فِي التَّأمينِ، وفيهِ ثمانِي مسائلَ، البابُ الرَّابعُ: فيمَا تضمَّنتهُ الفاتحةُ منَ المعانِي والقراءاتِ والإعرابِ، وفضلِ الحامدينَ، وفيهِ ستٌّ وثلاثونَ مسألةً، وهكذَا، وتارةً يكونُ التَّفسيرُ بمسائلَ يعدُّهَا علَى نحوِ مَا تقدَّمَ منْ دونِ فتحِ بابٍ، ولَا ذكرِ عنوانٍ.

---

(1) رحمة الله الكيرانوي: إظهار الحق 2/395– 397. والبغدادي: هدية العارفين 2/56– 326.

(2) السَّابق.

وكانَ القرطبِيُّ فِي هذهِ المباحثِ أوِ المسائلِ ينتقلُ منْ تفسيرِ المفرداتِ اللُّغويَّةِ وإيرادِ الشَّواهدِ الشِّعريَّةِ، إلَى بحثِ اشتقاقِ الكلماتِ ومآخذهَا، إلَى تصريفهَا وإعلالهَا، إلَى تصحيحهَا وإعرابهَا، إلَى مَا قالهُ أئمَّةُ السَّلفِ فيهَا، إلَى مَا يختارهُ المؤلِّفُ أحيانًا منْ معانيهَا، وأحسنَ المؤلِّفُ كلَّ الإحسانِ بعزوِ الأحاديثِ إلَى مخرِّجيهَا منْ أصحابِ الكتبِ السِّتَّةِ وغيرهمْ، وقدْ يتكلَّمُ علَى الحديثِ متنًا وسندًا، قبولاً وردًّا[1].

وكانَ القرطبِيُّ يبيِّنُ أسبابَ النُّزولِ، ويذكرُ القراءاتِ واللُّغاتِ ووجوهِ الإعرابِ، وتخريجِ الأحاديثِ، وبيانِ غريبِ الألفاظِ، وتحديدِ أقوالِ الفقهاءِ، وجمعِ أقاويلِ السَّلفِ، ومنْ تبعهمْ منْ الخلفِ؛ ثمَّ أكثرَ منَ الاستشهادِ بأشعارِ العربِ، ونقلِ عمَّنْ سبقهُ فِي التَّفسيرِ، معَ تعقيبهِ علَى مَا يُنقلُ عنهُ، مثلَ ابنِ جريرٍ، وابنِ عطيَّةَ، وابنِ العربِي، وإلْكِيَا الهرَّاسِي، وأبِي بكرٍ الجصَّاصِ، وأضْربَ عنْ كثيرٍ منْ قصصِ المفسِّرينَ، وأخبارِ المؤرِّخينَ والإسرائيلياتِ، وذكرَ جانبًا منهَا أحيانًا؛ كمَا ردَّ علَى الفلاسفةِ والمعتزلةِ وغلاةِ المتصوِّفةِ وبقيَّةِ الفرقِ، ويذكرُ مذاهبَ الأئمَّةِ ويناقشهَا، ويمشِي معَ الدَّليلِ، ولَا يتعصَّبُ لمذهبهِ المالكِي، وقدْ دفعهُ الإنصافُ إلَى الدِّفاعِ عنِ المذاهبِ والأقوالِ التِي نالَ منهَا ابنُ العربِي المالكِي فِي تفسيرهِ، فكانَ القرطبِي حُرًّا فِي بحثهِ، نزيهًا فِي نقدهِ، عفيفًا فِي مناقشةِ خصومهِ، وفِي جدلهِ، معَ إلمامهِ الكافِي بالتَّفسيرِ منْ جميعِ نواحيهِ، وعلومِ الشَّريعةِ.

---

(1) مشهور حسن محمود سلمان: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير ص104– 109.

المآخذُ علَى تفسيرِ القرطبِي:

تفسيرُ القرطبِي اجمالًا هوَ أصلٌ منْ أصولِ أهلِ السُّنَّةِ، إلَّا أنَّ البعضَ رفضَ اعتمادهُ، هذَا لنزعةِ القرطبِي الأشعريَّةِ، ولكنْ هذَا لَا يردُّ كتابهُ فقدْ سُئِلَ الإمامُ ابنُ بازٍ رحمهُ اللهُ تعالَى عنْ تفسيرِ القرطبِي فقالَ: ... كذلكَ تفسيرُ القرطبِي، تفسيرٌ مفيدٌ وجيِّدٌ، ولكنْ مثلَ غيرهِ، يؤخذُ منْ قولهِ ويتركُ، مَا خالفَ الدَّليلَ يتركُ، منْ كلامِ القرطبِي أوِ ابنِ جريرٍ أوِ ابنِ كثيرٍ أوْ غيرهمْ، كلُّ مفسِّرٍ قدْ يقعُ لهُ بعضُ الأخطاءِ، قدْ يصحِّحُ بعضَ الأحاديثِ الضَّعيفةِ، قدْ يضعفُ بعضَ الأحاديثِ الصَّحيحةِ، إمَّا لكونهِ تكلَّمَ منْ حفظهِ فغلطَ، أوْ لأنَّهُ نسيَ مَا سبقَ لهُ أنْ علمهُ فِي شأنِ هذَا الحديثِ أوْ شأنِ هذَا الحكمِ، فأهلُ العلمِ يعرضونَ مَا ذكرهُ علماءُ التَّفسيرِ وغيرهمْ علَى الكتابِ والسُّنَّةِ، فمَا وافقَ الحقَّ قُبلَ منَ القرطبِي وغيرهِ ومَا خالفهُ رُدَّ، وليسَ بمعصومٍ لَا هوَ ولَا غيرهُ منْ أهلِ العلمِ منْ أهلِ التَّفسيرِ وغيرهمْ، ولكنَّ كتابهُ مفيدٌ جدًّا كثيرُ الفائدةِ قدْ عنِيَ فيهِ بالأدلَّةِ والأحكامِ، وهوَ كتابٌ مفيدٌ جدًّا، وهوَ مفسِّرٌ ملهمٌ موفَّقٌ لكنَّهُ ليسَ بمعصومٍ، كلٌّ يؤخذُ منْ قولهِ ويتركُ[1].

وهنَا قدْ أشارَ الشيخُ أنَّ منْ أخطاءِ القرطبِي تصحيحُ بعضِ الأحاديثِ الظَّعيفةِ لنسيانهِ أوْ غيرِ ذلكَ لكنَّهُ أقرَّ أنَّهُ تفسيرٌ جيِّدٌ ومفيدٌ.

ويبقَى تفسيرُ القرطبِي تفسيرًا محمودًا حتَّى وإنْ كانَ صاحبهُ أشعريًّا، فالكلُّ يؤخذُ منهُ ويردُّ إلَّا رسولِ اللهِ ﷺ.

---

(1) الموقع الرسمي للإمام ابن باز.

6) الدُّر المنثورُ فِي التَّفسيرِ بالمأثورِ، لمؤلِّفهِ: جلالُ الدِّينِ بنُ أبي بكرٍ بنِ محمَّدٍ السُّيوطي:

الدُّر المنثورُ فِي التَّفسيرِ بالمأثورِ هوَ كتابٌ منْ كتبِ التَّفسيرِ الضَّخمةِ بلْ يعدُّ موسوعةً تفسيريَّةً ضخمةً، ألَّفهُ الحافظُ السُّيوطِي، وحشدَ فيهِ مَا أُثرَ عنِ النَّبِي ﷺ والصَّحابةِ والتَّابعينَ منْ تفاسيرَ لآياتِ وسورِ القرآنِ، مقتصرًا فِي الرِّوايةِ علَى متونِ الأحاديثِ حاذفًا منهَا أسانيدهَا، مدوِّنًا كلَّ مَا ينقلهُ بالعزوِ والتَّخريجِ إلَى كلِّ كتابٍ رجعَ إليهِ، وجمعَ السُّيوطِي فِي كتابهِ مَا وردَ عنِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ فِي تفسيرِ الآياتِ، وضمَّ لهَا مَا وردَ فيهَا منَ الأحاديثِ المخرجةِ منْ كتبِ الصِّحاحِ والسُّنَّنِ وبقيَّةِ كتبِ الحديثِ، وحذفَ الأسانيدَ للاختصارِ، مقتصرًا علَى متنِ الحديثِ[1].

وقدِ اختصرَ السُّيوطِي هذَا التَّفسيرَ منْ كتابهِ (ترجمانُ القرآنِ) الذِي توسَّعَ فيهِ فِي ذكرِ الأحاديثِ المسندةِ مَا بينَ مرفوعٍ وموقوفٍ حتَّى بلغتْ بضعةَ عشرَ ألفَ حديثًا[2].

وجمعَ السُّيوطِي الرِّوياتِ التِي أوردهَا فِي تفسيرهِ منْ عدَّةِ مصادرَ منهَا: البخارِي، ومسلمٍ، والنَّسائِي، والتِّرمذِي، وأحمدَ، وأبِي داودَ، وابنِ جريرٍ، وابنِ أبِي حاتمٍ، وعبدٍ بنِ حميدٍ، وابنِ أبِي الدُّنيَا، وغيرهمْ منَ المتقدِّمينَ[3].

(1) المشكاة الإسلامية:الدر المنثور في التفسير بالمأثور–جلال الدين السيوطي.

(2) التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي،ج 1 :ص 253.

(3) التفسير والمفسرون للذهبي،ج 1:ص 245.

منهجُ السُّيوطِي فِي تفسيرِه:

يذكرُ الإمامُ السُّيوطِي الآيةَ أوِ الآيتينِ فِي السُّورِ المدنيَّةِ الطوالِ، أوْ مجموعةٍ منَ الآياتِ فِي السُّورِ المكيَّةِ القصارِ، ثمَّ يفسِّرُ الكلمةَ أوِ الجملةَ بمَا هوَ مأثورٌ عنِ النَّبِيِّ ﷺ منْ بيانِ المعنَى، أوْ بمَا هوَ منقولٌ فِي كتبِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ عنِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ، وهوَ فِي ذلكَ يفيضُ إفاضةً شاملةً بكلِّ الرِّواياتِ المحكيَّةِ، بتخريجِ ذلكَ فِي الصِّحاحِ والمسانيدِ والمصنّفاتِ والسُّننِ والآثارِ عامَّةً، ففِي تفسيرِهِ مثلًا لجملةِ: "الحَمْدُ لِلهِ" منَ الفاتحةِ يذكرُ سبعاً وثلاثينَ روايةً متقاربةَ منهَا قولهُ: المعنَى، فالحمدُ: الشكرُ للهِ، أوِ الثَّناءُ على اللهِ، وفيهَا بيانُ فضيلةِ الحمدِ الخ... ويفسِّرُ كلمةَ "حَنِيفاً" بثمانِ رواياتٍ، منهَا: حنيفاً: حاجاً أوْ متَّبعاً أوْ مستقيماً أوْ مخلصاً، وفيهَا إيرادُ حديثٍ: "بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ" أوْ"أحبُّ الدِّينِ إلَى اللهِ: الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ"، دونَ بيانِ درجةِ صحَّةِ الحديثِ أوْ ضعفِهِ. كمَا فسَّرَ جملةَ "ثَانِي عطفِهِ" بثمانِ رواياتٍ، منهَا أنَّهُ المعرضُ منَ العظمةِ، أوْ لاوِي رأسهُ، أوْ لاوِي عنقهُ، أوِ المعرضُ عنِ الحقِّ، أوْ عنْ ذكرِ اللهِ تعالَى، معَ بيانِ منْ نزلتْ فِي شأنهِ (وهوَ النَّضرُ بنُ الحارثِ)، ويذكرُ فِي أوائلِ كلِّ سورةٍ، أوْ فِي أثناءِ بيانِ بعضِ آياتهَا، فضلهَا أوْ منزلتهَا وثوابَ تاليهَا وقارئهَا، كفضائلِ سورةِ البقرةِ وآلِ عمرانَ، وسورةِ الإخلاصِ والفلقِ والنَّاسِ وغيرِ ذلكَ، ويبيِّنُ صفةَ السُّورةِ ومكانِ نزولهَا، فهيَ مكيَّةٌ أوْ مدنيَّةٌ أوْ تشتملُ علَى كلتَا الصِّفتينِ، لوجودِ آياتٍ منهَا مدنيَّةٌ وأخرَى مكيَّةٌ، مثلَ سورةِ البقرةِ مدنيَّةٌ إلَّا آيةَ (281)،

وهيَ ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ....﴾، فنزلتْ فِي حجَّةِ الوداعِ، وأوردَ أنَّهَا آخرُ آيةٍ نزلتْ فِي القرآنِ علَى النَّبيِّ ﷺ، وكانَ بينَ نزولهَا وبينَ موتِ النَّبيِّ ﷺ أحدَ وثمانونَ يوماً، أوْ تسعَ ليالٍ.

وأسلوبهُ رحمهُ اللهُ تعالَى: تاريخيٌّ محضٌّ، فيذكرُ كلَّ روايةٍ معَ سردِ أسماءِ المخرِّجينَ لهَا فِي الكتبِ السِّتَّةِ أوْ مسندِ أحمدَ أوْ مسانيدِ الطَّبرانِي أوْ سننِ البَّيهقِي، أوْ صحيحِ الحاكمِ وابنِ خزيمةَ وابنِ حبَّانَ، أوْ مصنَّفِ ابنِ أبِي شيبةَ، أوِ الكتبِ المشتملةِ علَى الضُّعفاءِ أحياناً، كتاريخِ الخطيبِ ومسندِ الديلمِي (الفردوسُ) وابنِ عساكرَ فِي تاريخهِ، والحليةِ لأبِي نعيمٍ، ويعتمدُ كثيراً علَى مَا أخرجهُ الطَّبرِي فِي تفسيرهِ، وسعيدِ بنِ منصورٍ فِي سننهِ، وابنِ المنذرِ.

المآخذُ علَى تفسيرِ السُّيوطِي:

منَ المآخذِ علَى تفسيرِهِ رحمهُ اللهُ تعالَى: أنَّهُ لَا يُبيِّنُ مدَى صحَّةِ الرِّوايةِ أوْ ضعفهَا فِي غالبِ الأحيانِ، ملقياً بذلكَ علَى صاحبِ الرِّوايةِ، فهوَ مجرَّدُ سردٍ فِي الغالبِ، أوْ حكايةُ رواياتٍ أوْ وصفِ المنقولاتِ، وتركَ الأمرَ للقارئِ ليأخذَ بمَا شاءَ ويستحسنَ مَا يريدُ، ويرجِّحُ مَا يختارُ، فهوَ حقيقةً أوسعُ وأشملُ تفسيرٍ للآياتِ بالمأثورِ، لكنْ بالرَّغمِ منْ كثرةِ الرِّواياتِ لَا يجدُ القارئُ ضالَّتهُ المنشودةَ بنحوٍ حاسمٍ، مثلاً: يصعبُ علَى القارئِ إصدارُ الحكمِ علَى السُّيوطِي بأنَّهُ سلفِيُّ الاعتقادِ، أوْ أشعرِيُّهُ، فتراهُ فِي بيانِ المرادِ منَ الأحرفِ الهجائيَّةِ المقطَّعةِ فِي أوائلِ السُّورِ، مثلَ: (الَم) ومَا بعدهَا فِي أوائلِ تفسيرِ سورةِ البقرةِ، لَا يذكرُ مَا يقنعُ أوْ مَا هوَ راجحٌ عندَ المفسِّرينَ، وإنَّمَا ينقلُ عنِ ابنِ جريرٍ وغيرِهِ عنِ ابنِ عبَّاسَ: أنَّ هذهِ الأحرفَ قسمٌ أقسمهُ اللهُ، وهوَ منْ أسماءِ اللهِ.

وكذلكَ لمْ يفسِّرِ المرادَ بوصفِ المسيحِ عليهِ السَّلامُ بأنَّهُ كلمةُ اللهِ فِي آيةِ آلِ عمرانَ (45)، والنِّساءُ (171)، واكتفَى بإيرادِ حديثٍ مطابقٌ لظاهرِ القرآنِ بأنَّ عيسَى كلمةُ اللهِ ألقاهَا إلَى مريمَ، وهكذَا لَا نجدُ أنَّ السُّيوطِي يأتِي بمَا يشفِي الغليلَ فِي تفسيرِ آياتِ الصَّفاتِ، ولعلَّهُ يكتفِي بمَا ذكرهُ فِي كتابهِ الإتقانُ فِي علومِ القرآنِ.

وكذلكَ سردَ السُّيوطِي الرِّواياتِ عنِ السَّلفِ فِي التَّفسيرِ ولمْ يعقِّبْ عليهَا، ولمْ يرجِّحْ منْ بينِ الأقوالِ القولَ الأصحِّ، ولمْ يتحرَّى الصِّحَّةَ فيمَا جمعَ فِي هذَا التَّفسيرِ، ولمْ يبيِّنِ الصحيحَ منَ الضعيفِ[1]، ممَّا يجعلُ الكتابَ محتاجًا إلَى تنقيحٍ وتحقيقٍ وتمييزِ الصَّحيحِ منَ الضَّعيفِ، وقدْ قامَ علَى تحقيقهِ الشَّيخُ عبدُ اللهِ التُّركِي فِي17 مجلداً[2].

ويبقَى تفسيرُ السُّيوطِي رحمهُ اللهُ تعالَى مرجعًا فِي التَّفسيرِ لهذهِ الأمَّةِ، وهوَ منْ كنوزِ علمِ التَّفسيرِ حسبَ مرتبتهِ، وزادهُ تحقيقُ الشَّيخ عبدُ اللهِ التُّركِي شرفًا ومرتبتًا.

7) فتحُ القديرِ، لمؤَلِّفهِ: محمَّدٌ بنُ علِي بنِ محمدٍ بن عبدِ اللهِ الشَّوكانِي:

يعتبرُ تفسيرُ فتحِ القديرِ للشَّوكانِي أصلاً منْ أصولِ التَّفسيرِ بالمأثورِ، ومرجعاً منْ مراجعهِ، لأنَّهُ جمعَ بينَ التَّفسيرِ بالرِّوايةِ والتَّفسيرِ بالدِّرايةِ، حيثُ أجادَ فيهِ مؤلِّفهُ فِي بابِ الرِّوايةِ، وتوسَّعَ فِي بابِ الدِّرايةِ، وقدِ استدركَ الشَّوكانِي رحمهُ اللهُ تعالَى علَى علماءِ المسلمينَ فِي تفسيرهِ، والنَّاظرُ لتفسيرهِ يلحظُ ذلكَ بيِّنًا، ممَّا جعلَ بعظهمْ يقدِّمُ أطروحةً فِي هذَا البابِ[1].

وقدْ قالَ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي جمعهِ بينَ الرِّوايةِ والدِّرايةِ فِي تفسيرهِ: فإنَّ غالبَ المفسِّرينَ تفرَّقُوا فريقينِ وسلكُوا طريقينِ، الفريقُ الأوَّلُ اقتصرُوا فِي تفاسيرهمْ علَى مجرَّدِ الرِّوايةِ وقنعُوا برفعِ هذهِ الرَّايةِ، والفريقُ الآخرُ جرَّدُوا أنظارهمْ إلَى مَا تقتضيهِ اللُّغةُ العربيَّةُ، ومَا تفيدهُ العلومُ الآليَّةُ، ولمْ يرفعُوا إلَى الرِّوايةِ رأسًا وإنْ جاؤُوا بهَا لمْ يصحِّحُوا لهَا أساسًا، ثمَّ قالَ: ... وبهذَا تعرَفُ أنَّهُ لَا بدَّ منَ الجمعِ بينَ الأمرينِ وعدمِ الاقتصارِ علَى مسلكِ أحدِ الفريقينِ، وهذَا هوَ المقصودُ الذِي وطَّنتُ عليهِ نفسِي والمسلكُ الذِي عزمتُ علَى سلوكهِ[2].

(1) استدراكات الشوكاني على العلماء والمفسرين في فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية – المؤلف: جميلة محمد البدوي بابكر.

(2) "رسالة ماجستير" لـ عبد الرحيم يوسف – إشراف الشيخ د/ محمد بن العزيز الفالح.

منهجُ الشَّوكانِي فِي تفسيرِه:

يتَّضحُ منْ عنوانِ هذَا التَّفسيرِ أنَّ منهجَ الشَّوكانِي الأساسِي هوَ الجمعُ بين الرِّوايةِ والدِّراية، لكنْ طريقتهُ فِي هذَا الجمعِ كانتْ مختلفةً عمَّنْ قبلهُ، حيثُ يفصِّلُ بينَ النَّوعينِ فيبدأُ بالدِّرايةِ ثمَّ بالرِّوايةِ، ومنهجهُ بشكلٍ عامٍ عندَ تعرُّضهِ للسُّورةِ أوِ الآيةِ، أنَّهُ غالبًا يذكرُ فضائلَ السُّورةِ والقراءةِ واللُّغةِ والإعرابِ والشَّواهدِ وأسبابِ النُّزولِ والنَّسخِ والمعنَى الإجمالِي وترجيحِ بعضِ الأقوالِ علَى بعضٍ، والأحكامِ المستنبطةِ منَ الآيةِ والرِّواياتِ منَ الأحاديثِ النَّبويَّةِ والأثارِ عنِ الصَّحابة والأخبارِ عنِ التَّابعينَ فمنْ بعدهمْ، وأنَّهُ كثيرًا مَا يقدِّمُ خلاصةً لمَا تضمَّنتهُ السُّورةُ منْ موضوعاتٍ قبلَ الشُّروعِ فيهَا[1].

ومنْ خلالِ مَا سبقَ يمكنُ تقسيمُ منهجِ الشَّوكانِي إلَى قسمينِ، قسمٌ فِي الرِّوايةِ وقسمٌ فِي الدِّرايةِ.

1) منهجهُ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي الرِّوايةِ:

اعتمدَ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي تفسيرهِ بالرِّوايةِ، حيثُ بدأَ فِي تفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ، والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ، وآثارِ الصَّاحابةِ وأخبارِ التَّابعينَ ومنْ بعدهمْ، ومثالُ ذلكَ.

أ) قولهُ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي الآيةِ رقمِ (5) منْ سورةِ التَّحريمِ (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرَ مِنْكُنَّ) "أيْ: يعطيهِ بدلكنَّ أزواجًا أفضلَ منكنَّ، وقدْ علمَ اللهُ سبحانهُ أنَّهُ لَا يطلِّقهنَّ ولكنْ أخبرَ عنْ قدرتهِ علَى أنَّهُ إنْ وقعَ منهُ الطَّلاقُ

---

(1) انظر الإمام الشَّوكاني مفسِّرا 165:166.

أبدلهُ خيرًا منهنَّ، تخويفًا لهنَّ، وهوَ كقولهِ: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ}[محمد:38] فإنَّهُ اخبارٌ عنِ القدرةِ وتخويفٌ لهمْ" فقدْ بيَّنَ رحمهُ الله تعالَى أنَّ اللهَ تعالَى أرادَ بالآيةِ رقمِ (5) منْ سورةِ التَّحريمِ الاخبارَ عنِ القدرةِ والتَّخويفِ، مستدلًّا بالآيةِ رقمِ (38) منْ سورةِ محمَّدٍ.

ب) إيرادُ الأحاديثِ النَّبويَّةِ المتعلِّقةِ بالآياتِ، وعزوهَا إلَى منْ رواهَا، والحكمِ عليهَا أحيانًا منهُ أوْ منْ بعضِ أهلِ العلمِ، أوِ الكلامِ علَى بعضِ رجالِ السَّندِ، فمنْ ذلكَ قولهُ رحمهُ اللهُ تعالَى عندَ قولهِ سبحانهُ: {وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ}[المجادلة: 8]: "وقدْ أخرجَ أحمدُ وعبدُ بنُ حميدٍ والبزَّارُ وابنُ المنذرِ والطَّبرانِي وابنُ مردويهِ والبيهقِي فِي الشُّعبِ، قالَ السُّيوطِي بسندٍ جيِّدٍ عنِ ابنِ عمرَ: إنَّ اليهودَ كانُوا يقولونَ لرسولِ اللهِ ﷺ: السَّامُ عليكَ، يريدونَ بذلكَ شتمهُ، ثمَّ يقولونَ فِي أنفسهِمْ: (لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ)، فنزلتْ هذهِ الآيةُ: (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ)".

ج) إيرادُ أقوالِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ عندَ تعرُّضهِ للآيةِ لتقويةِ رأيٍ يراهُ، أوْ قولٍ يذهبُ إليهِ، ومنْ ذلكَ قولهُ رحمهُ اللهُ فِي تفسيرِ قولهِ تعالَى: {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِهِمْ وَ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ}[الحشر: 2]: "وذلكَ أنَّهمْ لمَّا أيقنُوا بالجلاءِ حسدُوا المسلمينَ أنْ يسكنُوا منازلهمْ فجعلُوا يخربونهَا منَ الدَّاخلِ، والمسلمونَ منَ الخارجِ، قالَ قتادةُ والضحَّاكُ: كانَ المؤمنونَ يخربونَ منْ خارجٍ كيْ يدخلُوا، واليهودُ (بنِي النَّضير) منْ داخلٍ ليبنُوا بهِ مَا خُرِّبَ منْ حصنهِمْ".

2) منهجهُ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي الدِّرايةِ:

أ) كانَ رحمهُ اللهُ تعالَى يبدأُ كلَّ سورةٍ بذكرِ عددِ آياتهَا، وهلْ هيَ مكيَّةٌ أمْ مدنيَّةٌ، والآياتِ المختلفِ فِي كونهَا مكيَّةً أوْ مدنيَّةً، ثمَّ يعقبُ بذكرِ الرِّواياتِ فِي ذلكَ، منْ ذلكَ قولهُ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي بدايةِ سورةِ المجادلةِ: "هيَ ثنتانِ وعشرونَ آيةً، وهيَ مدنيَّةٌ، قالَ القرطبِي: فِي قولِ الجميعِ (أيْ فِي قولِ جيمعِ أهلِ العلمِ) "أنَّ سورةَ المجادلةِ مدنيَّةٌ إلَّا روايةٌ عنْ عطاءٍ أنَّ العشرَ الأوَّلَ منهَا مدنيٌّ وباقيهَا مكيٌّ"، وقالَ الكلبِيُّ: "نزلتْ جميعهَا بالمدينةِ غيرَ قولهِ: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ}[المجادلة: 7] نزلتْ بمكَّةَ"، وأخرجَ ابنُ الضُّريسِ والنَّحَّاسُ وأبُو الشَّيخِ فِي "العظمةِ" وابنُ مردويهِ عنِ ابنِ عبَّاسَ قالَ: نزلتْ سورةُ المجادلةِ بالمدينةِ، وأخرجَ ابنُ مردويهِ عنِ ابنِ الزُّبيرِ مثلهُ".

ب) كانَ رحمهُ اللهُ تعالَى يذكرُ مَا وردَ فِي فضائلِ السُّورِ قبلَ تفسيرهَا منَ الآثارِ والأقوالِ، ومنْ ذلكَ قولهُ رحمهُ اللهُ تعالَى عندَ تفسيرِ سورةِ الملكِ: "وأخرجَ أحمدُ وأبُو داودَ والتِّرمذِي والنَّسائِي وابنُ ماجهْ وابنُ الضُّريسِ والحاكمُ وصحَّحهُ وابنِ مردويهِ والبيهقِي فِي الشُّعبِ عنْ أبِي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ سورةً منَ كتابِ اللهِ مَا هيَ إلَّا ثلاثونَ آيةً، شفعتْ لرجلٍ حتَّى غُفِرَ لهُ "تباركَ الذِي بيدهِ الملكِ"، قالَ التِّرمذِي: "هذَا حديثٌ حسنٌ"، وأخرجَ الطَّبرانِي فِي الأوسطِ، وابنُ مردويهِ، والضِّياءُ فِي المختارةِ عنْ أنسٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "سورةٌ فِي القرآنِ خاصمتْ عنْ صاحبهَا حتَّى أدخلتهُ الجنَّةَ "تباركَ الذِي بيدهِ الملكُ".

ج) كانَ فِي الغالبِ رحمهُ اللهُ تعالَى يُقطِّعُ السُّورةَ إلَى مجموعةِ مقاطعَ، يشتملُ كلُّ مقطعٍ علَى عدَّةِ آياتٍ ذاتِ موضوعٍ واحدٍ.

د) كانَ يجعلُ تفسيرَ كلِّ آيةٍ مستقلًّا، فإذَا انتهَى منْ آيةٍ بدأَ بمَا بعدهَا قائلًا: "قولهُ...." أوْ يربطُ بينهمَا بِ "ثمَّ"، منْ ذلكَ قولهُ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي تفسيرِ سورةِ المجادلةِ: "إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" يسمعُ كلَّ مسموعٍ ويبصرُ كلَّ مُبصَرٍ، ومنْ جملةِ ذلكَ مَا جادلتكَ بهِ هذهِ المرأةُ. (ثمَّ يربطُ رحمهُ اللهُ تعالَى تفسيرَ الآيةِ التِي بعدهَا بِ "ثمَّ" ويقولُ): ثمَّ بيَّنَ سبحانهُ شأنَ الظِّهارِ فِي نفسهِ، وذكرَ حكمهُ، فقالَ: "الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِمْ".

هـ) كانَ رحمهُ اللهُ تعالَى يفسِّرُ الآيةَ تفسيرًا تحليليًّا، ويقفُ معَ كلِّ كلمةٍ أوْ جملةٍ بمفردهَا حسبَ الحاجةِ، فيُوضِّحُ غريبهَا ويُبيِّنُ أصلهَا ومَا يتعلَّقُ بهَا، وربَّمَا توسَّعَ فِي اللُّغةِ وذكرَ أقوالَ أهلهَا، مدعمًا ذلكَ بالشَّواهدِ الشِّعريَّةِ المناسبةِ، متطرِّقًا خلالَ ذلكَ للإعرابِ دونَ إطالةِ، منْ ذلكَ قولهُ رحمهُ اللهُ تعالَى عندَ تفسيرِ قولهِ تعالَى: {وَمَا أَفَآءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ}[الحشر: 6]

"وَمَا أَفَآءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ" أيْ: ما ردَّهُ عليهِ منْ أموالِ الكفَّارِ، يُقالُ: فاءَ يفيءُ، إذَا رجعَ، والضَّميرُ فِي "مِنْهُمْ" عائدٌ إلَى بنِي النَّضيرِ. "فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ" يُقالُ: وجفَ الفرسُ والبعيرُ يجِفُ وجفًا وهوَ سُرعة السَّير، وأوجفَ صاحبهُ إذَا حملهُ على السَّيرِ السَّريعِ، ومنهُ قولُ تميمِ بنِ مقبلٍ:

مَذَاويدُ بالبيضِ الحديدِ صقالهَا * عنِ الرَّكبِ أحيانًا إذَا الرَّكبُ أوجفُوا

وقال نُصيْب:

ألَا رُبَّ ركبٍ قدْ قطعتُ وجيفهمْ * إليكَ ولولَا أنتِ لمْ يوجفِ الرَّكبُ.

و(مَا) فِي "فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ" نافيةٌ والفاءُ جوابُ الشَّرطِ، إنْ كانت (مَا) في قولهِ: "مَآ أَفَاءَ اللَّهُ" شرطيَّةٌ وإنْ موصولةً، فالفاء زائدةٌ، و(مِنْ) في قولهِ: "مِنْ خَيْلٍ" زائدةٌ للتَّأكيدِ، والرِّكابُ: مَا يُركبُ منَ الإبلِ خاصَّةً.

و) اهتمَّ رحمهُ اللهِ تعالَى بالقراءاتِ وأولاهَا عنايةً فائقةً وأكثرَ منهَا فِي تفسيرهِ، كمَا اهتمَّ أيضًا بتوجيهاتِ بعضِ هذهِ القراءاتِ وتبينِ أثرهَا على المعنَى، سواءٌ أكانتْ متواترةً أمْ شاذَّةً، فمنْ ذلكَ قولهُ رحمهُ اللهُ تعالَى في قولهِ تعالَى "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ": قرأَ أبُو عمرو، وحمزةُ والكسائيُّ بإدغامِ الدَّالِ فِي السِّينِ، وقرأَ الباقونَ بالإظهارِ.

ز) وكانَ رحمهُ اللهُ تعالَى يُحيلُ كثيرًا إلَى مواضعَ أخرَى منْ تفسيرهِ، منْ ذلكَ قولهُ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي تفسيرِ بدايةِ سورة الحشرِ، قولهُ "سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ اُلْعَزِيزُ اُلْحَكِيمُ": قدْ تقدَّمَ تفسيرُ هذَا فِي سورةِ الحديدِ.

ح) وكانَ رحمهُ اللهُ تعالَى يذكرُ أقوالَ أئمَّةِ التَّفسيرِ، فأحيانًا يكتفِي بمجرَّدِ النَّقلِ دونَ تعليقٍ لمَا يرَى مَا فيهِ منْ كفايةٍ، وقدْ يردُّ بعضَ الأقوالِ مبيِّنًا سببَ الرَّدِّ، وقدْ يؤيِّدُ بعضهَا ويدعمهُ بالأدلَّةِ ويختارُ مَا يراهُ مرجَّحًا، منْ ذلكَ قولهُ رحمهُ اللهُ تعالَى عندَ تفسيرِ قولهِ تعالَى:"قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوجِهَا وَتَشْتَكِي إلَى اللهِ" قالَ رحمهُ اللهُ: قالَ الواحدِي: قالَ المفسِّرونَ: نزلتْ هذهِ الأيةُ فِي خولةَ بنتِ ثعلبةَ وزوجهَا أوسٌ بنِ الصَّامتِ.... وقيلَ: هيَ خولةُ بنتِ حكيمٍ، وقيلَ اسمهَا جميلةٌ، والأوَّلُ أصحُّ وقيلَ: هيَ بنتُ خويلدٍ، قالَ الماورديُّ: إنَّهَا نُسبت تارةً إلى أبيهَا وتارةً إلَى جدِّهَا، وأحدهمَا أبوهَا، والآخرُ جدُّهَا، فهيَ: "خولةُ بنتُ ثعلبةَ بنتُ خويلدٍ.

ط) وكانَ رحمهُ اللهُ تعالَى يذكرُ أسبابَ النُّزولِ للسُّورةِ أوِ الآيةِ.

ي) وكانَ رحمهُ اللهُ تعالَى يُوردُ المسائلَ الفقهيَّةَ المتعلِّقةَ بالآياتِ وأحكامهَا، فيذكرُ المذاهبَ واختلافهمْ فيهَا[1].

---

(1) "رسالة ماجستير" لـ عبد الرحيم يوسف – إشراف الشيخ د/ محمد بن العزيز الفالح.

المآخذُ علَى تفسيرِ الشَّوكانِي:

ممَّا يؤخذُ علَى الشَّوكانِي رحمهُ اللهُ تعالَى كعالمٍ منْ أهلِ الحديثِ أنَّهُ يذكرُ كثيراً منَ الرِّواياتِ الموضوعةِ أوِ الضَّعيفةِ، ويمرُّ عليهَا دونَ أنْ ينبِّهَ عليهَا، فمثلاً نجدهُ عندَ تفسيرِهِ لقولهِ تعالَى فِي الآيةِ (55) منْ سورةِ المائدةِ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ ...الآيةُ، وقولهُ تعالَى فِي الآيةِ (67) منهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ....الآيةُ، يذكرُ منَ الرِّواياتِ مَا هوَ مذكورٌ علَى ألسنةِ الشِّيعةِ، ولَا ينبِّهُ علَى أنَّهَا موضوعةٌ، معَ أنَّهُ يقرِّرُ عدمَ صلاحيَّةِ هذهِ الرِّواياتِ للاستدلالِ علَى إمامةِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ، ففِي الآيةِ الأولَى يروِي عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ: تصدَّقَ عليٌّ بخاتمٍ وهوَ راكعٌ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ للسَّائلِ:" منْ أعطاكَ هذَا الخاتمَ"؟ قالَ: ذلكَ الرَّاكعُ، فأنزلَ اللهُ تعالَى فيهِ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرُسُولُهُ﴾... الآيةُ، ثمَّ يمرُّ علَى الرِّوايةِ الموضوعةِ باتِّفاقِ العلماءِ ولَا ينبِّهُ علَى مَا فيهَا، وفِي الآيةِ الثَّانيةِ تجدهُ يروِي عنْ أبِي سعيدٍ الخدرِي أنَّهُ قالَ: نزلتْ هذهِ الآيةُ ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ علَى رسولِ اللهِ ﷺ يومَ "غديرِ خُم" فِي عليٍّ بنِ أبِي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ، ويروِي عنِ ابنِ مسعودٍ أنَّهُ قالَ: "كنَّا نقرأُ علَى عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ: "يَا أيهَا الرَّسولُ بلِّغْ مَا أنزلَ إليكَ منْ ربِّكَ أنَّ عليًا مولَى المؤمنينَ، فإنْ لَّمْ تفعلْ فمَا بلَّغتَ رسالتهُ، واللهُ يعصمكَ منَ النَّاسِ"، ثمَّ يمرُّ رحمهُ اللهُ تعالَى علَى هاتينِ الرِّوايتينِ دونَ أنْ يبيِّنَ ضعفهمَا[1] ولمْ أفهمْ حقيقةً كيفَ وقعَ إمامنَا الشَّوكانِي فِي مثلِ هذَا الخطأِ.

---

(1) التَّفسير والمفسِّرون – الجزء الثَّاني "بتصرُّف" للدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى.

وقدْ أشارَ الألبانيُّ رحمهُ اللهُ تعالَى فِي السِّلسلةِ لشيءٍ منَ الأحاديثِ الظَّعيفةِ التِي أوردهَا الشَّوكانِي فِي تفسيرهِ[1].

ثمَّ إنَّ الشَّوكانِي رحمهُ اللهُ تعالَى استفادَ استفادةً كبيرةً منْ تفسيرِ القرطبِي، إلَّا أنَّهُ لمْ يتوسَّعْ توسُّعَ القرطبِي فيمَا يتعلَّقُ في الأحكامِ، وزادَ فِي تفسيرهِ علَى الجوانبِ الموجودةِ فِي تفسيرِ القرطبِي بشكلٍ واضحٍ جداً وتوسُّعٍ منْ كتابِ "الدُّرِّ المنثورِ" وهوَ ذكرَ هذَا فِي تفسيرِ الكتابِ، ولَا يردُّ كلَّ مَا أوردهُ السُّيوطِي فِي التَّفسيرِ ويحيلُ أحياناً، فيقولُ:

"وفيمَا ذكرناهُ كفايةٌ ومنْ أرادَ التَّوسُّعَ فِي هذَا يرجعُ إلَى الدُّرِّ المنثورِ"، والدُّرُّ المنثورُ محذوفةٌ منهُ الأسانيدُ، وفيهِ الصَّحيحُ والضَّعيفُ، ومنْ ثمَّ فالشَّوكانِي رحمهُ اللهُ تعالَى كانَ ينقلُ الصَّحيحَ والضَّعيفَ منَ الرِّواياتِ المرفوعةِ وغيرِ المرفوعةِ ممَّا ينقلهُ عنِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ، وطريقتهُ فِي ذلكَ أنَّهُ حينمَا يوردُ المعانِي بعدَ ذلكَ يوردُ تفسيرَ الآياتِ منْ كتابِ الدُّرِّ المنثورِ، فكأنَّهُ يعيدُ التَّفسيرَ منْ جديدٍ، وفِي كلِّ مقطعٍ يذكرُ تفسيرهُ منْ جهةِ مَا يسمَّى بالدِّرايةِ؛ لأنَّهُ جعلَ الكتابَ بهذَا العنوانِ "فتحُ القديرِ الجامعِ بينَ فنَّي الرِّوايةِ والدِّرايةِ منْ علمِ التَّفسيرِ" فيوردُ الدِّرايةَ أوَّلاً، فهوَ يشبهُ تفسيرَ ابنِ عطيَّةَ، والقرطبِي استفادَ منِ ابنِ عطيةَ وزادَ عليهِ، والشَّوكانِي استفادَ استفادةً كبيرةً منْ تفسيرِ القرطبِي إلَّا أنَّهُ لخَّصَ الأحكامَ منْ غيرِ توسُّعٍ كمَا ذكرنَا، ولَا يذكرُ الرِّواياتِ أثناءَ التَّفسيرِ، وإنَّمَا يذكرهَا بعدَ الفراغِ منْ تفسيرِ المقطعِ، فينتقلُ بعدهَا إلَى إيرادِ المرويَّاتِ منْ أوَّلِ آيةٍ شرعَ يفسِّرهَا فِي هذَا المقطعِ إلَى آخرِ آيةٍ، وهذهِ الطَّريقةُ متعبةٌ للقارئِ، ويبقَى تفسيرُ الشَّوكانِي كنزًا منْ كنوزِ التَّفسيرِ وذخيرةً لأهلِ السُّنَّةِ والجماعة ومرجعًا لهمْ فرحمَ اللهُ إمامنَا الشَّوكانِي وجزاهُ عنِ الأمَّةِ كلَّ خيرٍ.

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة ص(387) محمد ناصر الدين الألباني.

8) تيسيرُ الكريمِ الرَّحمنِ فِي تفسيرِ كلامِ المنَّانِ، لمؤلِّفهِ: عبدُ الرَّحمنِ بن ناصرٍ السَّعدِي:

يعدُّ تفسير السَّعدِي رحمهُ اللهُ تعالَى منْ أجلِّ التَّفاسيرِ، هذَا لسهولةِ عباراتهِ وتجنُّبِ الخلافِ فيهِ، فقدْ قالَ الشَّيخُ

ابنُ عثيمينَ رحمهُ اللهُ تعالَى: فإنَّ تفسيرَ شيخنَا عبدُ الرَّحمنِ بنِ ناصرٍ السَّعدِي رحمهُ اللهُ تعالَى المسمَّى "تيسيرِ الكريمِ الرَّحمنِ فِي تفسيرِ كلامِ المنَّانِ" منْ أحسنِ التَّفاسيرِ حيثُ كانَ لهُ ميزاتٌ كثيرةٌ: منهَا سهولةُ العبارةِ ووضوحهَا، حيثُ يفهمهَا الرَّاسخُ فِي العلمِ ومنْ دونهِ.

ومنهَا تجنُّبُ الحشوِ والتَّطويلِ الذِي لَا فائدةَ منهُ إلَّا إضاعةُ وقتِ القارئِ وتبلبلِ فكرهِ.

ومنهَا تجنُّبُ ذكرِ الخلافِ إلَّا أنْ يكونَ الخلافُ قويًّا تدعُو الحاجةُ إلى ذكرهِ، وهذهِ ميزةٌ مهمَّةٌ بالنِّسبةِ للقارئِ حتَّى يثبتَ فهمهُ علَى شيءٍ واحدٍ.

ومنهَا السَّيرُ علَى منهجِ السَّلفِ فِي آياتِ الصِّفاتِ، فلَا تحريفَ ولَا تأويلَ يخالفُ مرادَ اللهِ تعالَى بكلامهِ، فهوَ عمدةٌ فِي تقريرِ العقيدةِ.

ومنهَا دقَّةُ الاستنباطِ فيمَا تدلُّ عليهِ الآياتُ منَ الفوائدِ والأحكامِ والحكمِ، وهذَا يظهرُ جليًّا فِي بعضِ الآياتِ، كآيةِ الوضوءِ فِي سورةِ المائدةِ؛ حيثُ استنبطُ منهَا خمسينَ حكماً، وكمَا فِي قصَّةِ داودَ وسليمانَ فِي سورةِ ص.

ومنهَا أنَّهُ كتابُ تفسيرٍ وتربيةٍ علَى الأخلاقِ الفاضلةِ، كمَا يتبيَّنُ فِي تفسيرِ قولهِ تعالَى فِي سورةِ الأعرافِ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[الأعراف: 199].

ومنْ أجلِ هذَا أشيرُ علَى كلِّ مريدِ اقتناءِ كتبِ التَّفسيرِ ألَّا تخلُو مكتبتهُ منْ هذَا التَّفسيرِ القيِّمِ[1].

وقالَ الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ عقيلٍ رحمهُ اللهُ تعالَى: كانَ لشيخنَا العلَّامةُ الشَّيخُ عبدُ الرحمنِ بنِ ناصرٍ السَّعدِي رحمهُ اللهُ تعالَى منْ ذلكَ حظٌ وافرٌ وذلكَ بتفسيرهِ المسمَّى: (تيسيرُ الكريمِ الرَّحمنِ فِي تفسيرِ كلامِ المنَّانِ) حيثُ جاءَ هذَا التَّفسيرُ سهلَ العبارةِ، واضحَ الإشارةِ، وصاغهُ علَى نمطٍ بديعٍ بعباراتٍ قريبةٍ لَا خفاءَ فيهَا ولَا غموضَ، فهوَ يعتنِي بإيضاحِ المعنَى المقصودِ منَ الآيةِ بكلامٍ مختصرٍ مفيدٍ، مستوعبٍ لجميعِ مَا تضمَّنتهُ الآيةُ منْ معنَى أوْ حكمٍ، سواءٌ منْ منطوقهَا أوْ مفهومهَا، دونَ إطالةٍ أوِ استطرادٍ أوْ ذكرِ قصصٍ أوْ إسرائيلياتٍ، أوْ حكايةِ أقوالٍ تخرجُ عنِ المقصودِ، أوْ ذكرِ أنواعِ الإعرابِ إلَّا فِي النَّادرِ الذِي يتوقَّفُ عليهِ المعنَى، بلْ يركِّزُ علَى المعنَى المقصودِ منَ الآيةِ بعبارةٍ واضحةٍ يفهمهَا كلُّ منْ يقرؤهَا مهمَا كانَ مستواهُ العلمِي، فهوَ فِي الحقيقةِ سهلٌ ممتنعٌ يُفهمُ معناهُ منْ مجرَّدِ تلاوةِ لفظهِ، وقدِ اهتمَّ بترسيخِ العقيدةِ السَّلفيَّةِ، والتوجُّهِ إلَى اللهِ تعالَى، واستنباطِ الأحكامِ الشَّرعيَّةِ، والقواعدِ الأصوليَّةِ، والفوائدِ الفقهيَّةِ إلَى غيرِ ذلكَ منَ الفوائدِ[2].

---

(1) ذكره عبد الرحمن اللويحق محقق تفسير السعدي في مقدمته للتفسير (ص11).

(2) ذكره عبد الرحمن اللويحق محقق تفسير السعدي في مقدمته للتفسير (ص10).

منهجُ السَّعدِي فِي تفسيرِهِ:

أ) اهتمامهُ رحمهُ اللهُ تعالَى بضربِ الأمثالِ فِي القرآنِ الكريمِ: ومنْ الأمثلةِ علَى ذلكَ قولهُ رحمهُ اللهُ تعالَى عندَ تفسيرِ قولهِ تعالَى: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[يونس: 24]

قالَ: "وهذَا المثلُ منْ أحسنِ الأمثلةِ، وهوَ مطابقٌ لحالةِ الدُّنيَا، فإنْ لذَّاتهَا وشهواتهَا وجاههَا ونحوِ ذلكَ يزهُو لصاحبهِ إنْ زهَا وقتًا قصيرًا، فإذَا استكملَ وتمَّ اضمحلَّ، وزالَ عنْ صاحبهِ، أوْ زالَ صاحبهُ عنهُ، فأصبحَ صفرَ اليدينِ منهَا، ممتلئَ القلبِ منْ همِّهَا وحزنهَا وحسرتهَا[1].

ب) ذكرُ العبرِ والعظاتِ منَ القصصِ:

ومنهُ تفسيرهُ لقولهِ تعالَى: {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا}[الكهف: 16] حتَى وصلَ للآيةِ رقمِ (21) فقالَ: وفِي هذهِ القصَّةِ، دليلٌ علَى أنَّ منْ فرَّ بدينهِ منَ الفتنِ، سلَّمهُ اللهُ منهَا، وأنَّ منْ حرصَ علَى العافيةِ عافاهُ اللهُ تعالَى ومنْ أوَى إلَى اللهِ تعالَى، آواهُ اللهُ وجعلهُ هدايةً لغيرهِ، ومنْ تحمَّلَ الذُّلَّ فِي سبيلهِ وابتغاءَ مرضاتهِ، كانَ آخرَ أمرهِ وعاقبتهِ العزُّ العظيمُ منْ حيثُ لَا يحتسبُ[2].

---

(1) تفسير السعدي سورة يونس.

(2) تفسي السعدي سورة الكهف.

ج) الاهتمامُ بالنَّحوِ والإعرابِ والاستعانةِ بهَا في التَّفسيرِ:

ومنْ ذلكَ تفسيرهُ لقولهِ تعالَى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[الفاتحة: 5] فقالَ: أيْ نخصُّكَ وحدكَ بالعبادةِ والاستعانةِ، لأنَّ تقديمَ المعمولِ يفيدُ الحصرَ، وهوَ إثباتُ الحكمِ للمذكورِ ونفيهُ عمَّا عداهُ[1].

د) سهولةُ الألفاظِ ويُسرُ العبارةِ:

حيثُ يعتمدُ رحمهُ اللّهُ تعالَى شرحًا بسيطًا يفهمهُ الإنسانُ العادِي بسهولةٍ ويسرٍ فيكونُ أقربَ للفهمِ، معَ حفاظهِ علَى الدِّقَّةِ.

هـ) موضوعيَّةُ التَّفسيرِ:

فلَا يشحنُ رحمهُ الله تعالَى تفسيرهُ بكثرةِ الإسرائيليَّاتِ التِي قدْ تكونُ خاطئةً وقدْ تكونُ صحيحةً، ومنْ ذلكَ عدمُ تطرُّقهِ لإسرائيليَّاتِ قصَّةِ هاروتَ وماروتَ فِي سورةِ البقرةِ.

و) اهتمامهُ بالجانبِ الفقهِي:

فقدْ تحدَّثَ فِي تفسيرهِ عنْ أحكامٍ مختلفةٍ عديدةٍ، ومنَ الأمثلةِ علَى ذلكَ النَّفقةُ الواجبةُ عندَ مرورهِ بالآيةِ حيثُ قالَ عندَ قولهِ تعالَى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[التوبة: 35] أنْ يمسكوهَا عنِ النَّفقةِ الواجبةِ، كأنْ يمنعَ الزَّكاةَ أوِ النَّفقاتِ الواجبةِ للزَّوجاتِ أوِ الأقاربِ أوِ النَّفقةِ فِي سبيلِ اللهِ إذَا وجبتْ[2].

---

(1) تفسير السعدي سورة الفاتحة.

(2) تفسير السعدي سورة التوبة.

المآخذُ علَى تفسيرِ السَّعدِي:

حقيقةً لَا توجدُ مآخذٌ علَى تفسيرِ السَّعدِي أوْ تقولُ لَا توجدُ مآخذُ معتبرةٌ علَى تفسيرِهِ رحمهُ اللهُ تعالَى، إلَّا أنَّ الشَّيخَ محمَّدٌ بنُ جميلٍ زينُو رحمهُ اللهُ تعالَى المدرِّسِ بدارِ الحديثِ الخيريَّةِ بمكَّةَ المكرمَّةَ حرسهَا اللهُ تعالَى، قدْ عدَّ عليهِ مآخذَ عدَّةٍ، أذكرُ بعضهَا معَ عدمِ الجزمِ بأنَّهَا مآخذٌ، لأنَّ مَا سيذكرهُ الشَّيخُ محمَّدٌ بنُ جميلٍ ليسَ مقطوعًا بصحَّتهِ.

قالَ الشَّيخُ محمَّدٍ بنُ جميلٌ زينُو فِي تفسيرِ قولهِ تعالَى:

1) {رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ}[ص:33].

قالَ رحمهُ اللهُ تعالَى:"أيْ جعلَ يعقرهَا بسيفهِ فِي سوقهَا وأعناقهَا".

قالَ الشَّيخُ جميلٌ: قلتُ: هذَا التَّفسيرُ منَ الإسرائيلياتِ والصَّحيحُ مَا ثبتَ فِي صحيحِ البُخارِي عنِ ابنِ عبَّاسَ رضيَ اللهُ عنهُ:"أيْ يمسحُ سوقهَا وأعناقهَا حباً لهَا"[1].اهـ

وأقولُ أنَّ مَا اختارهُ الشَّيخُ جميلٌ زينُو ليسَ مجزومًا بهِ فالأمرُ فيهِ قولانِ وهوَ مَا اختارهُ الشَّيخُ السَّعدِي أوْ رجَّحهُ والآخرُ مَا اختارهُ الشَّيخُ جميلٌ، فقدْ قالَ الطَّبري: واختلفَ أهلُ التَّأويلِ فِي معنَى مسحَ سليمانُ بسوقِ هذهِ الخيلِ الجيادِ وأعناقهَا، فقالَ بعضهمْ: معنَى ذلكَ أنَّهُ عقرهَا وضربَ أعناقهَا، منْ قولهِمْ: مَسَحَ علاوتهُ: إذَا ضربَ عنقهُ[2].

---

(1) إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري صـ 373 شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد/القسطلاني.

(2) تفسير الطبري.

2) {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ}[سورة ص:34]

قالَ الشَّيخُ السَّعدِي رحمهُ اللهُ تعالَى:"أيْ ابتليناهُ واختبرناهُ بذهابِ ملكهِ وانفصالهِ عنهُ بسببِ خللٍ اقتضتهُ الطَّبيعةُ البشريَّةُ!!

{وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً}: أيْ شَيْطَاناً قَضَى اللهُ تعالَى وقدرَ أنْ يجلسَ علَى كرسيِّ ملكهِ ويتصرَّفَ فِي الملكِ فِي مدَّةِ فتنةِ سليمانَ".اهـ (!!).

قالَ الشيخُ زينُو، قلتُ: وهذهِ منَ الإسرائيليَّاتِ المكذوبةِ(!) بلْ ثبتَ فِي الصَّحيحينِ منْ حديثِ أبِي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ قالَ: "قالَ سليمانُ بنُ داودَ عليهمَا السَّلامُ: لأطوفنَّ اللَّيلةَ علَى مائةِ امرأةٍ أوْ تسعٍ وتسعينَ كلهنَّ يأتِي بفارسٍ يجاهدُ فِي سبيلِ اللهِ فقالَ لهُ صاحبهُ قلْ إنْ شاءَ اللهُ فلمْ يقلْ إنْ شاءَ اللهُ فلمْ يحملْ منهنَّ إلَّا امرأةً واحدةً جاءتْ بشقِّ رجلٍ والذِي نفسُ محمَّدٍ بيدهِ لوْ قالَ إنْ شاءَ اللهُ لجاهدُوا فِي سبيلِ اللهِ فرساناً أجمعونَ".

وهوَ واضحٌ أنَّ اللهَ جلَّ وعلَا ابتلاهُ بشقِّ الولدِ وهوَ الجسدُ المذكورُ فِي الآيةِ الكريمةِ وإلَى هذَا ذهبَ جمعٌ منَ المفسِّرينَ أخذاً بالحديثِ وطرحاً للرِّواياتِ المكذوبةِ.اهـ

وبهِ أيضًا فإنَّ مَا رواهُ الشيَّخُ السعدِي قالَ بهِ ابنُ عبَّاسَ، فعنِ الطَّبريِّ قالَ: ... عن ابنِ عبَّاسَ قولهُ (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قالَ: هوَ صخرٌ الجنيّ تمثَّلَ علَى كرسيِّهِ[1].

---

(1) ينظر: تفسير الطبري.

وشقُّ الرَّجلِ هذَا ليسَ ببعيدٍ أنْ يكونَ شيطَانًا علَى الحقيقةِ تمثَّل فِي ذلكَ الشَّكلِ، فلَا نقولُ قدْ أخطأَ السَّعديُّ فِي هذَا، لأنَّ الحديثَ السَّابقِ ذكرهُ لمْ يخفَى علَى صغارِ طلَّابِ العلمِ، فكيفَ بالعلَّامةِ أنْ يخفَى عنهُ ذلكَ، إذًا كانَ شرحُ السَّعدِي للآيةِ استنباطًا واضحًا، أنَّ شقَّ الرَّجلِ هوَ شيطانٌ فِي شكلِ نصفِ رجلٍ، واللهُ أعلمُ.

3) {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوءَ وَٱلْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ}[يوسف:24]

قالَ الشَّيخُ السَّعدِي رحمهُ اللهُ تعالَى:"...لأنَّهُ قدْ همَّ فيهَا همًّا(!!)تركهُ للهُ وقدَّمَ مرادَ اللهِ علَى مرادِ النَّفسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ(!!!)...".اهـ

قالَ الشيخُ زينُو، قلتُ: الصَّحيحُ منْ أقوالِ المفسِّرينَ أنَّهُ عليهِ السَّلامُ لمْ يهمْ بهَا أصلاً، فلولَا أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأَى برهانَ ربِّهِ لهمَّ بهَا، وهذَا الموافقُ لعصمةِ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهمْ أجمعينَ, كيفَ وقدْ ذكرهُ ربُّهُ تباركَ وتعالَى مادحاً لهُ ومثنياً عليهِ بأعلَى صفاتِ النُّفوسِ التقيَّةِ النَّقيَّةِ المطمئنَّةِ فقالَ سبحانهُ: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ} وقدْ ذكرهُ خاتمُ الأنبياءِ ﷺ بذكرٍ عَطِرٍ فوَّاحٍ مادحاً لهُ مثنيًا عليهِ بأعلَى صفاتِ النُّفوسِ المطمئنَّةِ فقالَ: "إنَّ الكريمَ بنَ الكريمِ بنَ الكريمِ بنَ الكريمِ يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليهمُ السَّلامُ"[1].

---

(1) رواه البخاري (3210).

وإذَا كانتْ نفوسُ أفضلِ الخلقِ الأصفياءُ الخيارُ، أمَّارةٌ بالسُّوءِ ولوْ فِي وقتٍ دونَ وقتٍ! فأيُّ محلٍّ للعصمةِ بقِي؟! وهلْ أحدٌ بعدهمْ صلواتُ اللهُ وسلامهُ عليهمْ جميعاً تكونُ نفسهُ مطمئنَّةً؟؟!! واللهُ أعلمُ. (صدقَ الشَّيخُ زينُو)

وانظرْ لزاماً: (الإسرائيليَّاتِ فِي كتبِ التَّفسيرِ) لأبِي شهبةَ فإنَّهُ قدْ أجادَ وأفادَ. انتهَى

ومَا ذكرتهُ منْ كلامِ الشَّيخِ جميلٍ هوَ الشَّيءُ اليسيرُ منْ تعليقاتهِ علَى تفسيرِ السَّعدِي، لكنْ ليسَ كلُّ تعليقاتهِ مجزومًا بصحَّتهَا، فقدْ ردَّ بعضُ المشايخِ معظمَ مَا سبقَ ذكرهُ بأدلَّةٍ كافيةٍ وافيةٍ وأثبتَ بعضهَا[1] وبهذَا نخرجُ أنَّ تفسيرَ السَّعدِي فيهِ أقلُّ مآخذًا بلْ لَا تعدُّ مآخذًا هذَا إنْ كانَ دارسُ الكتابِ طالبًا لَا باحثًا مختصًّا، وتفسيرُ السَّعدِي منْ أكثرِ كتبِ التَّفسيرِ قبولًا وتزكيةً منَ العلماءِ، ثمَّ إنَّ هذَا الكتابَ هوَ بدايةٌ كلِّ مختصٍّ فِي التَّفسيرِ، فرحمَ اللهُ إمامنَا السَّعدِي رحمةً واسعةً وجزاهُ عنِ الأمَّةِ كلَّ خيرٍ.

---

(1) انظر مدونة أبي جعفر عبد الله بن فهد الخليفي – نقض انتقادات محمد جميل زينو على تفسير عبد الرحمن السعدي.

9) المختصرُ فِي التَّفسيرِ لجماعةٍ منْ علماءِ المسلمينَ:

يُعدُّ كتابُ المختصرِ فِي التَّفسيرِ منْ أصحِّ الكتبِ علَى جميعِ الأوجهِ، كمَا إنَّهُ يناسبُ جميعَ فئاتِ المجتمعِ الإسلامِي بكلِّ شرائحهِ، فقدْ كتبَ متنَ هذَا التَّفسيرِ:

1) "الشَّيخُ محمَّدٌ المختارُ الشِّنقيطِي" كتابةً أوَّليَّةً

2) وكتبَ السَّابقُ نفسهُ معَ "الشَّيخِ الدُّكتورِ زيدٌ بنِ عمرَ العيصِ" (أستاذُ الدِّراساتِ القرآنيَّةِ بجامعةِ الملكِ سعودٍ سابقًا) فوائدَ الآياتِ وهدايتهَا فتقاسماهَا مناصفةً.

3) وكتبَ "الشَّيخُ الدُّكتورُ محمَّدٌ بنُ عبدِ اللهِ الرَّبيعةُ" (الأستاذُ المشاركُ فِي القرآنِ وعلومهِ بجامعةِ القصيمِ) مقاصدَ السُّورِ[1].

ثمَّ كلَّفَ مركزُ تفسيرٍ للدِّراساتِ القرآنيَّةِ جماعةً منْ علماءِ التَّفسيرِ المشهودِ لهمْ بالكفاءةِ والعلمِ بهذَا الفنِّ منْ مختلفِ دولِ العالمِ الإسلاميِّ بمراجعةِ التَّفسيرِ وتقويمهِ أثناءَ الكتابةِ مرحلةً مرحلةً، وتحكيمِ منهجهِ، فقامَ كلُّ واحدٍ منهمْ بتحكيمِ أجزاءٍ متفرِّقةٍ منْ هذَا التَّفسيرِ حتَّى اكتملَ، وهمْ:

1) أ. د. "أحمد خالد شكري" الجامعةُ الأردنيَّةُ – الأردن.

2) أ. د. "أحمد سعد الخطيب" جامعةُ الأزهرِ– مصر.

3) أ. د. "أحمد بزوي الضاوي" جامعةُ شعيبُ الدُّكالِي– المغرب.

4) د. "حسين بن علي الحربي" جامعةُ جازانَ– السعوديَّةُ.

5) د. "خالد بن عثمان السبت" جامعةُ الدمامِ– السعوديَّةِ.

6) أ. د. "سعيد الفلاح" جامعةُ الزَّيتونةِ– تونس.

7) أ. د. "صالح بن يحيى صواب" جامعةُ صنعاءَ– اليمن.

8) أ. د. "غانم قدوري الحمد" جامعةُ تكريتَ– العراق.

9) د. "محمد بن عبد الله القحطاني" جامعة الملك خالد– السعودية.

---

(1) مقدَّمة المختصر في التَّفسير الطَّبعة الثَّالثة.

وتولَّتْ مهمَّةَ الإشرافِ العلمِيِّ علَى المشروعِ، ومتابعتهِ فِي جميعِ مراحلهِ: لجنةٌ علميةٌ مكوَّنةٌ منْ:

1) أ. د. "مساعد بن سليمان الطَّيَّار" الأستاذُ بجامعةِ الملكِ سعودٍ.

2) أ. د. "عبد الرحمن بن مَعَاضة الشِّهري" الأستاذُ بجامعةِ الملكِ سعودٍ.

3) د. "أحمد بن محمد البريدي" الأستاذُ المشاركُ بجامعةِ القصيمِ.

4) د. "ناصر بن محمد الماجد" الأستاذُ المشاركُ بجامعةِ الإمامِ محمَّدٍ بنِ سعودٍ الإسلاميَّةِ.

كمَا كلَّفَ المركزُ ثلاثةً منْ أساتذةِ العقيدةِ المتخَصِّصينَ بمراجعتهِ منَ الجانبِ العقديِّ؛ رغبةً فِي سلامتهِ ممَّا قدْ يقعُ فيهِ منَ الخطأِ فِي هذَا الجانبِ، وهمْ:

1) الأستاذُ الدكتورُ: "سهل بن رفاع العتيبي" أستاذُ العقيدةِ والمذاهبِ المعاصرةِ بجامعةِ الملكِ سعودٍ.

2) والأستاذُ الدكتورُ: "عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف" أستاذُ العقيدةِ والمذاهبِ المعاصرةِ بجامعةِ الإمامِ محمَّدٍ بنِ سعودٍ الإسلاميَّةِ.

3) والدُّكتورُ: "عبد الله بن عبد العزيز العنقري" أستاذُ العقيدةِ المشاركِ بجامعةِ الملكِ سعودٍ.

وقدْ قامُوا بمراجعتهِ كلٌّ علَى حدةٍ، وأفادُوا بملاحظاتٍ وتصويباتٍ قيِّمة؛ فجزاهمْ اللهُ خيرًا.

ثمَّ أَوْكَلَ المركزُ إلَى الأستاذِ الدُّكتورِ مساعدَ بنِ سليمانَ بنِ ناصرٍ الطَّيَّارِ مراجعةَ المختصرِ كاملًا؛ للنَّظرِ فِي الملاحظاتِ والمقترحاتِ التِي وصلَتْ منَ القُرَّاءِ للتَّفسيرِ فِي طبعتيهِ الأولَى والثَّانيةِ، فقامَ باختيارِ نخبةٍ منْ طلبةِ العلمِ المتخصِّصينَ منْ طلَّابهِ يقرؤونَ المختصرَ معهُ صفحةً صفحةً، ويقفونَ علَى كلِّ الملاحظاتِ التِي وصلتْ، وينظرونَ فيمَا يقفونَ عليهِ كذلكَ، ومَا احتاجَ إلَى إعادةِ صياغةٍ أعادُوا صياغتَهُ؛

مستفيدِينَ منْ صياغةِ الإمامِ ابنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ فِي المقامِ الأَوَّلِ، كمَا قامُوا بإعادةِ صياغةِ مَا يحتاجُ إلَى صياغةٍ منْ مقاصدِ السُّورِ أوْ منَ الفوائدِ، وتمَّ الاقتصارُ علَى ثلاثِ فوائدَ غالبًا فِي كلِّ صفحةٍ.

وفِي حالِ الاختلافِ فِي التَّفسيرِ، رأتِ اللَّجنةُ الاعتمادَ علَى إمامِ المفسِّرينَ ابنِ جريرٍ الطَّبريِّ؛ لسلامةِ منهجِه، وكثرةِ اعتمادِه علَى التَّفسيرِ المنقولِ عنِ النَّبِيِّ ﷺ وعلَى المنقولِ عنِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ وأتباعِهِمْ رضيَ اللهُ عنهمْ[1].

فقدِ اجتمعَ علَى خدمةِ هذَا الكتابِ تسعةَ عشرَ عالمًا، وهذَا الكتابُ هوَ أصحُّ كتابٍ علَى وجهِ الأرضِ فِي زَمنِنَا.

---

(1) مقدّمة المختصر في التّفسير الطّبعة الثّالثة.

المنهجُ المتبَّعُ فِي كتابِ المختصرِ فِي التَّفسيرِ:

1) وضوحُ العبارةِ وسهولتِهَا.

2) الاقتصارُ علَى تفسيرِ الآياتِ وبيانِ معانيهَا دونَ دخولٍ فِي مسائلِ القراءاتِ والإعرابِ والفقهِ ونحوهَا.

3) شرحُ المفرداتِ القرآنيَّةِ الغريبةِ أثناءَ التَّفسيرِ وتمييزِ الشَّرحِ بلونٍ مختلفٍ بقدرِ الاستطاعةِ ليسهلَ الوقوفُ عليهِ لمنْ أرادهُ.

4) اتِّباعُ منهجِ سلفِ الأمَّةِ رضوانُ اللهِ عليهِمْ فِي التَّفسيرِ وفِي بيانِ معانِي آياتِ الصِّفاتِ خصوصًا باتِّباعِ مَا دلَّ عليهِ القرآنُ والسُّنَّةُ دونَ تأويلٍ أوْ تحريفٍ.

5) تحرِّي المعنَى الأرجحِ عندَ الاختلافِ، معَ مراعاةِ ضوابطَ التَّفسيرِ وقواعدِ التَّرجيعِ.

6) ذكرُ بعضِ هداياتِ الآياتِ وفوائدهَا فِي أسفلِ كلِّ صفحةٍ بمَا يُعِينُ علَى تدبُّرِهَا وتمامِ الانتفاعِ بهَا، تحتَ عنوانٍ مستقلٍّ: منْ فوائدِ الآياتِ.

7) التَّقديمُ بينَ يديْ كلِّ سورةٍ ببيانِ زمانِ نزولهَا (مَكِّيَّةٌ أوْ مَدَنِيَّةٌ)، وبيانُ أهمِّ مقاصدهَا باختصارٍ.

8) جمعُ كلُّ مَا سبقَ وكتابَتُهُ علَى حاشيةِ المصحفِ الشَّريفِ [1].

---

(1) مقدَّمة المختصر في التَّفسير الطَّبعة الثَّالثة.

المآخذُ علَى كتابِ المختصرِ فِي التَّفسيرِ:

بعدَ مَا سبقَ ذكرهُ منَ عملِ العلماءِ فِي هذَا الكتابِ، يصعبُ أنْ تجدَ فيهِ مآخذًا، فهوَ عبارةٌ عنْ نوعٍ منَ الإجماعِ علَى تفسيرٍ معيَّنٍ، بلْ هوَ الإجماعُ بعينهِ، فكمَا سبقَ وذكرنَا أنَّهُ قدِ اجتمعَ علَى العملِ عليهِ تسعةَ عشرَ عالمًا، فحتَّى وإنْ وُجدتْ مآخذُ فيهِ، فيستحيلُ أنْ تكونَ هذهِ المآخذُ فِي متنِ التَّفسيرِ بفروعهِ منْ عقيدةٍ وغيرهَا، ومنَ الممكنِ أنْ تجدَ مآخذَ فِي غيرِ ذلكَ مثلَ الإخراجِ الفنِّيِّ للكتابِ أوْ طريقةِ التَّرتيبِ فِي التَّفسيرِ ومَا إلَى ذلكَ، ومنْ ذلكَ أذكرُ ملحوظةً سجَّلتُهَا حالَ دراستِي لهذَا الكتابِ الجليلِ، أنَّهُ فِي تفسيرِ السُّورِ وبعدَ أنْ يذكرَ مقاصدَ السُّورةِ، وذكرِ معنَى اسمهَا يستفتحُ بالتَّفسيرِ ولا يذكرُ الآيةَ التِي يفسِّرهَا، بلْ يكتفِي بذكرِ رقمهَا، منْ ذلكَ مثلًا فِي سورةِ الفاتحةِ أوْ فِي أيِّ سورةٍ أخرَى يكتبُ فِي تفسيرِ الآيةِ: "(2) جميعُ أنواعِ المحامدِ منْ صفاتِ الجلالِ والكمالِ..."، وهوَ يقصدُ تفسيرَ الآيةِ الثَّانيةِ منَ الفاتحةِ "الَحمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ"، وكذلكَ الأمرُ فِي طيَّاتِ الكتابِ، وبهذَا لَا يستطيعُ قراءةَ هذَا التَّفسيرِ إلَّا حاملٌ لكتابِ اللهِ تعالَى، بلْ يجبُ أنْ يكونَ حافظًا لأرقامِ الآياتِ أيضًا، وهذَا متعذِّرٌ حتَّى علَى المختصِّينَ فِي القراءاتِ، أوْ يجبُ عليهِ أنْ ينظرَ إلَى كلِّ رقمٍ علَى أيِّ آيةٍ يدلُّ، فينظرُ فِي الرَّقمِ ثمَّ يعودُ إلَى السُّورةِ فيقرأُ الآيةَ ثمَّ يعودُ إلَى تفسيرهَا، ومنَ الممكنِ أنْ ينساهَا إنْ كانَ ليسَ حاملًا لكتابِ اللهِ تعالَى، فيجبُ عليهِ حينهَا الرُّجوعُ مرَّةً أُخرَى للآيةِ، فتجدُ القارئَ متذبذبًا بينَ الآيةِ وتفسيرهَا، وحقيقةً هذَا مرهقٌ جدًّا فِي السُّورِ الطِّوالِ حتَّى لمنْ كانَ حاملًا للقرآنِ بكلِّ رواياتهِ، فإذَا تعبَ القارئُ تجدهُ يقرأُ فِي التَّفسيرِ دونَ الآيةِ، حينهَا لَا يعلمُ تفسيرَ أيِّ آياتِ ذاكَ الذِي يقرأهُ، فمثلًا لوْ كتبتُ لكَ: سورةُ البقرةِ (225): "ومثلُ الذينَ يبذلونَ

أموالهمْ طلبًا لمرضاتِ اللهِ، مطمئنَّةً أنفسهمْ بصدقِ وعدِ اللهِ غيرَ مكرهةً، كمثلِ بستانٍ علَى مكانٍ مرتفعٍ طيِّبٍ، أصابهُ مطرٌ غزيرٌ، فأنتجَ ثمرًا مضاعفًا ..."، فِي حالِ قراءةِ هذَا التَّفسيرِ وجبَ الرُّجوعُ إلَى الآيةِ وهوَ الأصلُ، فلَا يجدهَا القارئُ فِي متنِ التَّفسيرِ بلْ يجدُهَا فِي السُّورةِ، فغايةُ الأمرِ أنَّ فصلَ الآياتِ عنْ متنِ التَّفسيرِ يتعبُ القارئَ، فياليتَ أنَّ تعادَ صياغةُ هذَا الكتابِ الجليلِ ليكونَ كعامةِ كتبِ التَّفسيرِ بأنْ تُذكرَ الآيةَ ثمَّ يذكرُ تفسيرهَا أمامهَا ليسهلَ الأمرَ علَى المختصِّ وعلَى غيرِ المختصِّ، ومعَ هذَا فمَا سبقَ ذكرهُ لَا يعدُّ مأخذًا على هذَا التَّفسيرِ الجليلِ، بلْ هوَ مجرَّدُ ملاحظةٍ لتسهيلِ الأمرِ علَى القرَّاءِ، ويبقَى كتابُ المختصر فِي التَّفسيرِ أحسنَ كتبِ عصرهِ، فباركَ اللهُ فِي كلِّ منْ شاركَ فِي هذَا العملِ المباركِ وجزاهمُ الجنَّةَ علَى ذلكَ.

****


الفصل السادس
تفاسير يجب الوقوف عليها

تفاسيرٌ يجبُ الوقوف عليها

هناكَ جملةٌ منْ كتبِ التَّفسيرِ لَا يمكنُ لأيِّ أحدٍ أنْ يقرأهَا، سيَّمَا المبتدؤونَ منْ طلبةِ العلمِ، فقدْ يزلُّ البعضُ بسببِ محتواهَا زللًا كبيرًا، خاصَّةً فِي العقيدةِ، ومنهَا:

1) الكشفُ والبيانُ عنْ تفسيرِ القرآنِ، لمؤلِّفهِ: أبِي إسحاقَ أحمدَ بنِ محمَّدٍ بنِ إبراهيمَ الثَّعلبِي، ت 467 هـ.

يُلاحظُ علَى هذَا التَّفسيرِ:

أ) الإكثارُ منْ ذكرِ الإسرائيليَّاتِ دونَ تعقيبٍ، معَ ذكرهِ لقصصٍ إسرائيليَّةٍ غريبةٍ.

ب) الاغترارُ بالأحاديثِ الموضوعةِ فِي فضائلِ السُّورِ، سورةً سورةً، فروَى فِي نهايةِ كلِّ سورةٍ حديثًا فِي فضلهَا منسوبًا إلى أُبَيْ بنِ كعبٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

ج) الاغترارُ بكثيرٍ منَ الأحاديثِ الموضوعةِ علَى ألسنةِ الشِّيعةِ دونَ الإشارةِ إلَى كونهَا موضوعةٌ مكذوبةٌ[1].

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ:

والثَّعلبِي هوَ فِي نفسهِ فيهِ خيرٌ ودينٌ، وكانَ حاطبًا فِي اللَّيلِ، ينقلُ مَا وجدَ فِي كتبِ التَّفسيرِ منْ صحيحٍ وضعيفٍ وموضوعٍ[2].

---

(1) كتاب التفسير / مجموعة زاد للعلوم الشرعية – المستوى الأول / صـ 26/ محمد صالح المنجد.

(2) مقدَّمة في أصول التفسير لابن تيمية.

2) روحُ المعانِي فِي تفسيرِ القرآنِ العظيمِ والسَّبعِ المثانِي، لمؤلِّفهِ: أبِي الثَّناءِ شهابِ الدِّينِ السيِّدِ محمودٍ الأفندِي الألوسِي، ت 1270 هـ[1]. يُنظر الهامش

وهوَ تفسيرٌ كبيرٌ، منْ يطَّلعُ عليهِ يجدُ نفسهُ أمامَ موسوعةٍ تفسيريَّةٍ كبيرةٍ، جمعَ فيهِ المؤلِّفُ أقوالًا فِي التَّفسيرِ كثيرةً، كمَا أنَّهُ رجعَ إلَى جملةٍ كبيرةٍ منَ التَّفاسيرِ، منهَا تفسيرُ أبي السُّعودِ، والبيضاوي وتفسيرِ الفخرِ الرَّازِي، كمَا نقلَ عنْ تفسيرِ ابنِ عطيَّةَ وأبِي حيَّانَ والزَّمخشرِي وابنِ كثيرٍ وغيرهِمْ.

لكنْ يعيبُ هذَا التفسيرَ: اهتمامهُ بالتَّفسيرِ الإشارِي الصُّوفِي، فإِذَا انتهَى منَ التَّفسيرِ الظَّاهرِ تكلَّمَ عنِ التَّفسيرِ الباطنِي، فينقلُ فيهِ كلامَ الصُّوفيَّةِ، كالجنيدِ وابنِ عطاءٍ وأبِي العبَّاسِ المرسِي، وهيَ تفاسيرُ شاذَّةٌ بعيدةٌ عنِ الحقِّ[2].

فمن أرادَ تفسيرَ آيةٍ يكفيهِ منْ سبقَ ذكرهمْ كالطَّبري وابنِ الكثيرِ وغيرهمْ، فقدْ كفُّوا ووفُّوا.

---

(1) كان سلفي العقيدة، وشافعي المذهب. وقد أثبت صفة العلو لله تعالى في تفسيره فقال: "وتأول بعضهم كل نص فيه نسبة الفوقية إليه تعالى بأن فوق فيه بمعنى خير وأفضل كما يقال: الأمير فوق الوزير والدينار فوق الدرهم. وأنت تعلم أن هذا مما تنفر منه العقول السليمة وتشمئز منه القلوب الصحيحة فإن قول القائد ابتداء: الله تعالى خير من عباده أو خير من عرشه من جنس قوله: الثلج بارد والنار حارة والشمس أضوأ من السراج والسماء أعلى من سقف الدار ونحو ذلك وليس في ذلك أيضا تمجيد ولا تعظيم لله تعالى بل هو من أرذل الكلام فكيف يليق حمل الكلام المجيد عليه وهو الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، على أن في ذلك تنقيصا لله تعالى شأنه ففي المثل السائر:

ألم تر أنَّ السيف ينقص قدره * إذا قيل إن السيف خير من العصا

المراجعُ: ضميرية، ناصر. "استعادة ابن تيمية: عائلة الآلوسي في العراق ودورها في نشر الفكر السلفي".

"الإمام الآلوسي وكتابه \ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني\".

"علامة العراق الألوسي ولزومه منهج السلف".

(2) كتاب التفسير / مجموعة زاد للعلوم الشرعية – المستوى الأول / صـ 27/ محمد صالح المنجد.

****

المحتويات

تمَّ الجزء والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات